منتخب البيان والتبيين

فهرست مطالب منتخب البيان و التبيين

عنوان	صفحه
جاحظ	١
باب البيان	٥
البلاغة	١١
العمانى الراجز والرشيد	١٧
فى الايجاز	١٨
باب الصمت	٢٠
الحث على طلب البيان والتبيين	٢٣
من مكارم اخلاق النبى ص	٣٠
خطبة الوادع	٣١
باب من اللغز فى الجواب	٣٣
عقيل بن ابى طالب	٣٥
المنصور والشاب الهاشمى	٣٦
آداب الملوك	٣٦
يجب للاديب مايجب للمليك	٣٦
كلام لبعض المتكلمين	٣٩
واعظ بين يدى المهدى	٤٢
الحلى و السمات	٤٣
مطاعن الشعوبية على خطباء العرب	٤٣
مطاعن الشعوبية على العرب بشأن العصا	٤٥
مطاعن الشعوب على العرب بشأن	
آلات الحرب	٤٧
الرد على الشعوبية	٤٩
خطباء الناس من العرب والعرس	٥١
اخذ العصا عند الخطابة	٥٣
علامة الانصراف عند بعض الملوك	٥٥
حكاية الفتى التغلبى والعصا	٥٥
شىء من سياسة بنى العباس	٥٨
سياسة المنصور فى العفو	٦٠
المنصور وابن هرمه	٦١
رجع بنا الكلام الى السمات	٦١
العمائم تيجان العرب	٦٤
التقنع من عادات العرب	٦٧
من مواعظ الحسن البصرى	٦٨
شىء من ادب معاوية	٧٣
كلام فى تعزية بعض الملوك	٧٥

باب البيان

قال بعض جهابذة الالفاظ و نقّاد المعانى : المعانى القائمة فى صدور العباد المتصوّرة فى اذهانهم و المتخلّجة فى نفوسهم و المتّصلة بخواطرهم و الحادثة عن فكرهم مستورة خفية و بعيدة وحشيّة و محجوبة مكنونة و موجودة فى معنى معدومة، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه و لا حاجة أخيه وخليطه و لا معنى شريكه و المعاون له على اموره و على مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره. وانّما تحبا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها و استعمالهم ايّاها و هذه الخصال هى التى تقرّبها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفىّ منها ظاهراً و الغائب شاهداً و البعيد قريباً. وهى التى تخلص الملتبس و تحلّ المنعقد و تجعل المهمل مقيّداً و المقيّد مطلقاً و المجهول معروفاً والوحشى مألوفا و العُفْل[1] موسوماً و الموسوم معلوماً و على قدر وضوح الدلالة و صواب الاشارة وحسن الاختصار و دقّة المدخل يكون اظهار المعنى. وكلّما كانت الدلالة اوضح و افصح وكانت الاشارة ابين و انور كان ابلغ و ابجع[2] والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعتَ الله تبارك و تعالى يمدحه و يدعو اليه و يحثّ عليه. وبذلك نطق القرآن و بذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف الاعجام

والبيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى و هتك الحُجُب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته و يهجم على محصوله كائناً

---

١ — بى نشان ٢ — سودمندتر ـ مؤثرتر

ما كان ذلك البيان و من ايّ جنس كان ذلك الدليل . لان مدار الامر و الغاية التى اليها يجرى القائل و السامع انّما هو الفهم و الافهام فبأيّ شيء بلغت الافهام و اوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدّة الى غير نهاية ، و اسماء المعانى مقصورة معدودة و محصّلة محدودة . و جميع اصناف الدلالات على المعانى من لفظ ومن غير لفظ خمسة اشياء ولا تنقص و لا تزيد . اوّلها اللفظ ثم الاشارة ، ثم العَقْد ، ثم الخط ، ثم الحال ، و تسمى : « نَصْبَة »[1] . و النصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف و لا تقصر عن تلك الدلالات .

و لكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، و حلية مخالفة لحلية احتها ، و هى التى تكشف لك عن اعيان المعانى فى الجملة ، ثم عن حقائقها فى التفسير ، و عن اجناسها و اقدارها ، و عن خاصّها و عامّها ، و عن طبقاتها فى السّار و الضّار و عمّا يكون منها لغوا بهرجاً[2] و ساقطاً مطّرحا .

***

وقالوا : البيان بصر والعىّ[3] عمى ، كما ان العلم بصر و الجهل عمى . و البيان من نتاج العلم ، و العىّ من نتاج الجهل . و قال سهل بن هرون : العقل رائد الروح و العلم رائد العقل ، و البيان ترجمان العلم . و قال صاحب المنطق* : حد الانسان : الحىّ الناطق المبيّن . وقالوا : حياة المرؤة

---

١ — علامت ٢ — باطل ـ دروغ ـ بد ـ سكه ناروا ٣ — نادانى

* رومانند در سخن

☆ اشاره بارسطو ميباشد

الصدق ، و حياةالروح العفاف ، و حياة الحلم العلم ، و حياة العلم البيان. و قال يونس‌بن حبيب : ليس‌لعيّ مروّة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ولوحك بيا فوخه[1] اعنان السماء[2] . و قالوا : شعر الرجل قطعة . من كلامه ، و ظنّه قطعة من علمه ، واختياره قطعة من عقله ، و قال ابن التوأم . الروح عمادالبدن و العلم عمادالروح ، و البيان عمادالعلم .

***

قد قلنا فى‌الدلالة باللفظ ، فاما الاشارة : فباليد و بالرأس و بالعين و الحاجب و المنكب اذا تباعد الشخصان و بالثوب و بالسيف . و قد يتهدد رافع السوط و السيف فيكون ذلك زاجراً رادعا ، ويكون وعيداً وتحذيرا .

و الاشارة و اللفظ شريكان و نعم العون هى له و نعم الترجمان هى عنه و ما اكثر ما تنوب عن اللفظ و ما تغنى عن‌الخط !

و بعد ، فهل تعد و الاشارة ان تكون ذات صورة معروفة و حلية موصوفة على‌اختلاف فى طبقاتها ودلالتها ؟ و فى‌الاشارة بالطرف و الحاجب و غير ذلك من الجوارح مرفق كبير ، و معونة حاضره فى امور يُسرّها الناس من بعض و يخفونها من‌الجليس و غير الجليس . و لولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، و اجهلوا هذاالباب البتّة و لولا ان تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسّرتها لكم . و قد قال الشاعر فى دلالات الاشارة :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها اشارة مذعور[3] و لم تتكلمِ

فايقنت ان‌الطرف قد قال مرحباً و اهلا و سهلا بالحبيب المتيمِ

---

١ — مقدم سر كودك كه استخوانش نرم باشد ٢ — اطراف آسمان و عنان نيز آمده است . ٣ — (ذُعْر) بيم ـ ترس

و قال الا خر :

و للقلب على القلـ ـب دليل حين يلقـاه
و فى الناس من النـا س مقاييس و اشبـاه
و فى العين غنىً للمر ء ان تنطق افواه

و قال الآخر :

ومعشرٍ صيدٍ ذوى تجلّه ترى عليهم للندى ادله

و قال الآخر :

ترى عينها عينى فتعرف وحيها و تعرف عينى ما به الوحى يرجع

و قال الآخر :

و عين الفتى تبدى الذى فى ضميره و تعرف بالنجوى الحديث المغمّسا[1]

و قال الآخر :

العين تُبدى الذى فى نفس صاحبها من المحبّة او بغض اذا كانـا
و العين تنطق و الافواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانـا

هذا ، و مبلغ الاشارة ابعد من مبلغ الصوت فهذا ايضاً باب تتقدم فيه الاشارة الصوتَ . و الصوت هو آلة اللفظ ، و هو الجوهر الذى يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف و لن تكون حركات اللسان لفظاً و لا كلاماً موزوناً و لا منثوراً الا بظهور الصوت . و لا تكون الحروف كلاماً الا بالتقطيع و التأليف . و حسن الاشارة باليد و الرأس من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذى يكون مع الاشاره من الدّل و الشكل[1] و التفتّل و التثنّى و غير ذلك من الامور .

قد قلنا فى الدلالة بالاشارة ، فامّا الخط فممّا ذكر الله تبارك و تعالى فى كتابه من فضيلة الخط و الانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه و

---

١ — پنهان ـ پوشيده ٢ — عشوه و ناز

سلّم « اقرأ و ربك الاكرم الذى علّم بالقلم . علّم الانسان مالم يعلم » و اقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال « ن و القلم وما يسطرون » و لذلك قالوا : القلم احد اللسانين . كما قالوا : قلّة العيال احد اليسارين . و قالوا : القلم ابقى اثراً ، واللسان اكثر هذراً . و قال عبدالرحمن بن كيسان استعمال القلم اجدر ان يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام ، وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر ، القلم مطلق فى الشاهد والغائب ، و هو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يُقرأ بكل مكان ، و يُدرس فى كل زمان . واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره

و امّا القول فى العَقد ، و هو الحساب ، دون اللفظ والخط : فالدليل على فضيلته ، وعظم قدر الانتفاع به قول الله عزّ وجلّ « فالق الاصباح ، وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم » وقال جلّ و تقدّس « الرحمن علّم القرآن ، خلق الانسان ، علّمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان » و قال تبارك و تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياءاً ، والقمر نورا و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ماخلق الله ذلك الا بالحق » ، وقال تبارك وتعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب » والحساب يشتمل على معان كثيرة و منافع جليلة ، و لولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عزّ و جلّ ذكره معنى الحساب فى الاخرة .

وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جلّ النعم ، وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عزّ وجلّ لنا قواماً ومصلحة ونظاماً .

واما النَصْبَة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض ، و فى كل صامت و ناطق و جامد و نام و مقيم و ظاعن و زائد و ناقص . فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء مُعربة من جهة البرهان . ولذلك قال الأول : سل الارض فقل : من شق انهارك ، وغرس اشجارك ، و جنى ثمارك ؟ فان لم تجبك حواراً [١] اجابتك اعتبارا . وقال بعض الخطباء : اشهد أنّ السموات والارض آيات دالاّت و شواهد قائمات ، كل يؤدّى عنك الحجة ، و يُعرب عنك بالربوبية ، موسومة بآثار قدرتك و معالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر و رجم الظنون . فهى على اعترافها لك و ذلّها اليك شاهدة بانك لاتحيط بك الصفات ، ولا تحدّك الاوهام ، و انّ حظّ المفكر فيك الاعتراف لك وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر و هو ميت : الاسكندر كان امس انطق منه اليوم ، وهو اليوم اوعظ منه امس و متى دلّ الشيء على معنىً فقد اخبر عنه وان كان صامتاً ، و اشار اليه و ان كان ساكتاً

وهذا القول شائع فى جميع اللغات ، ومتّفق عليه مع افراط الاختلافات. وانشد ابو الردينى العُكْلى ، فى تنسم الذئب للريح واستنشاقه واستراحه :

يستخبر الريح اذا لم يسمع ـ بمثل مقراع الصفا الموقّع ـ

و قال عنترة بن شداد العبسى ، و جعل نعيب الغراب خبراً للزاجر :

حرُق [٢] الجناح كان لحيَى رأسه جلمان [٣] بالاخبار هشُ مولع

---

١ — گفتگو ٢ — سياه ٣ — قيچى كه با آن پشم ميبرند

و قال الراعی:

ان السماء و ان الریح شاهدة والارض تشهد و الایام والبلد
لقد جزیت بنی بدر ببغیهم یوم الهباءة[١] یوماً ماله قود[٢]

و قال نُصیب فی هذا المعنی یمدح سلیمان بن عبدالملك:

اقول لرکب صادرین لقیتهم قفاذات اوشال[٣] و مولاك قارب[٤]
قفوا خبّرونا عن سلیمان اننی لمعروفه من آل وَدّان[٥] طالب
فعاجوا[٦] فأثنوا بالذی انت أهله ولو سکتوا اثنت علیك الحقائب[٧]

و هذا کثیر جدا.

(البلاغة)

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمدلله ولا حول ولا قوّة الا بالله. و صلی الله علی سیدنا محمد خاصة و علی الانبیاء عامة.

قیل للفارسی ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. و قیل للیونانی: ما البلاغة؟ قال. تصحیح الاقسام و اختیار الکلام. و قیل للرومی ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب[٨] عند البداهة، والغزازة یوم الاطالة. وقیل للهندی: ما البلاغة قال: وضوح الدلالة و انتهار الفرصة و حسن الاشارة. وقال بعض اهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة

---

١ — اشاره بیکی ازجنگهای دورهٔ جاهلیت عرب است که بین بنی عبس و بنی فزاره بود و بنی فزاره غالب شده اند ٢ — قصاص از قاتل
٣ — محلی است پر آب و آب از کوهها در آن جاری است. ٤ - خواهان آب است. ٥ — نام قریه است ٦ — برگشتند ٧ — مفروش (حقیبة) کیسه یا خرجین که مسافر برای گذاردن توشه و غیره بر ترك مال می بندد. ٨ — سخن گفتن بالبدیهه - بریدن. انتخاب سخن

ثم قال : و من البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح اوعر طريقة ، و ربما كان الاضراب عنها[١] صفحاً ابلغ فى الدرك واحق بالنظر . وقال مرة : جماع البلاغة اِلْتماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول و قلة الحرف بما التبس من المعانى او غَمُضَ وبما شرد عليك من اللفظ اوتعذّر . ثم قال : و زين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته و سناؤه ان تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدّلة ، واللهجة بقبّة ، فان جامع[٢] ذلك السنّ والسمت[٣] والجمال و طول الصمت . فقد تمّ كل التمام و كمل كل الكمال .

و خالف عليه سهل بن هرون ـ وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه حسن الاشارة ، بعيدا من الفدامة[٤] معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقضى له بالحكمة قبل الخبرة ، و برّقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدّقة المذهب قبل الامتحان ، و بالنبل[٥] قبل التكشّف . فلم يمنعه ذلك ان يقول ماهو الحقّ عنده ، وان ادخل ذلك على حاله النقص ـ قال سهل بن هرون : لوان رجلين خطبا اوتحدّثا او احتجّا او وصفا وكان احدهما جميلاً بهيّاً ذالباس نبيلاً وذاحسب شريفاً و كان الاخر قليلا قميئا[٦] و باذّ الهيئة[٧] دميماً[٨] وخامل الذكر[٩] مجهولاً ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة و فى وزن واحد من الصواب لَتصدّع عنهما الجمع و عامّتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم ، و للباذّ الهيئة ، و لَشَغَلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه ، ولصار التعجب منه

---

١ — صرفنظر كردن ٢ـ موافق آمد ٣ — زيبائى هيئت
٤ — كندفهمى ـ درماندگى در سخن ـ بدخوئى ٥ — نجابت و بزرگى آگاهى و تيزهوشى ٦ — حفير ـ ناچيز ٧ — ژنده پوش — كسى كه لباس مندرس در بر كند ٨ — زشت رو ٩ — گمنام

سببا للعُجْب به، و لكان الاكثار فيشأنه علّة للاكثار فى مدحه، لان النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أنئس و من حسده أبعد فاذا هجموا منه على مالم يحتسبوه و ظهر منه خلاف ماقدّروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم و كبر فى عيونهم لان الشيء من غير معدنه أغرب، و كلّما كان أغرب كان أبعد فى الوهم، و كلّما كان أبعد فى الوهم كان أطرف، و كلّما كان أطرف كان أعجب، و كلّما كان اعجب كان أبدع، وانماذاك كنوادر كلام الصبيان، و ملح المجانين، فأنّ ضحك السامعين من ذلك اشدّ و تعجّبهم به أكثر. والناس موكّلون بتعظيم الغريب و استطراف البديع، و ليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل و فى النادر الشاذّ و كل ما كان فى ملك غيرهم، و على ذلك زهد الجيران فى عالمهم، والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم، و على هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم و يرحلون الى النازح عنهم، و يتركون من هُو اعمّ نفعاً و اكثر فى وجوه العلم تصرّفاً واحف مؤنة و اكثر فائدة.

و لذلك قدّم بعض الناس الخارجى على العريق، والطارف على التليد وكانوا يقولون: اذا كان الخليفة بليغاً و السيد خطيباً فانك تجد جمهور الناس و اكثر الخاصة فيهما على امرين، اما رجل يعطى كلاً منهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه، وموقعهما من قلبه واما رجل تعرض له التهمه لنفسه فيهما والخوف من ان يعطى تعظيمه لهما يوهمه من الصواب قولهما وبلاغة كلامهما ماليس عند هما حتى يفرط فى الاشفاق و يسرف فى التهمة فالاول يزيد فى حقّه للذى له فى نفسه، والاخر ينقصه من حقّه لتهمته لنفسه، ولاشفاقة من ان يكون مخدوعاً

في امره . فاذا كان الحبّ يعمي عن المساوى ، فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم ، او معتدل الاخلاط عليم والا القوى المنّة الوثيق العقدة ، والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر .

وكان سهل بن هرون شديد الاطناب في وصف المأمون في البلاغة والجهارة و الحلاوة والفخامه ، وجوده اللهجة والطلاوة .

و اذا صرنا الى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم و بلغاء رجال القبائل ، قلنا في وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما لأننا عسى ان نذكر جملة اسماء خطباء الجاهلين والاسلاميين والبدويين و الحضريين ، و بعض ما يحضرنا من صفاتهم و اقدارهم و مقاماتهم وبالله التوفيق

ثم رجع بنا القول الى ذكره الاشارة . و روى ابو شمرْ عن معمر ابى الاشعث خلاف القول الأول في الاشارة والحركة عند الخطابة وعند منازعة الرجال و مناقلة الاكفاء .

وكان ابو شمرْ اذا نازع لم يحرّك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينه ولم يحرّك رأسه ، حتى كأنّ كلامه انما يخرج من صدع[1] صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار[2] الى ذلك والعجز عن بلوغ ارادته وكان يقول . ليس المنطق ان تستعين عليه بغيره ،

حتى كلّمه ابراهيمُ بن سيّار النظّام عند ايوب بن جعفر فاضطرّه بالحجّة

---

١ — شكاف ٢ — احتياج - نيازمند،

و بالزيادة فى المسألة حتى حرّك يديه ، و حلّ[1] حبوته و حبا اليه حتى اخـذ بيديه . ففى ذلك اليوم انتقل ابوب من قول ابى شِمرْ الى قول ابراهيم .

وكان الذى غرّ أبا شمر وموّه له هذا الرأى ان اصحابه كانوا يستمعون منه ويسلِّمون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم فلمّا طال عليه توقيرهم له و ترك مجاذبتهم اياه و خفّت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم. وكان شيخاً وقوراً وزميتاً[2] ركيناً وكان ذا تصرّف فى العلم ، و مذكوراً بالفهم والحلم .

قال معمر ابو الاشعث . قلت لبهلة الهندى — ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل « منكة » و « بازيكر » و « قلبرقل » و « سندباذ » و فلان و فلان — : ما البلاغة عند اهل الهند : قال بهلة : عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا احسن ترجمتها لك ولم اعالج هذه الصناعة فأثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتخليص لطائف معانيها قال ابو الاشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها .

اول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . و دلك ان يكون الخطيب رابط الجاش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخيّر اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، و يكون فى قواه فضل المتصرف فى كل طبقة . ولا يدّقق المعانى كل التدقيق ولا ينقّح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفّيها كل التصفيه ولا يهذّبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً او فيلسوفاً عليماً و من قد تعود حذف فضول الكلام ، و اسقاط

---

١ — كنايه از اين است كه خودداری را از دست داد وحبوة بمعنى پيراهن وبخشش نيز هست ٢ — با وقار و بردبار

مشتركات الالفاظ ، و قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لاعلى جهة الاعتراض والتصفّح ، وعلى جهة الاستطراف والتظرّف »

و قال من علم : حق المعنى ان يكون الاسم له طبقا و تلك الحال له وفقاً ، و يكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً ولا مقصّراً ولا مشتركاً ولا منصمّاً ويكون مع دلك ذاكراً لما عقد عليه اول كلامه ويكون تصفّحه[1] لمصادره فى وزن تصفّحه لموارده ، ويكون لفظه مؤنقا ، ولهول تلك المقامات معاوداً . و مدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم ، وان تواتيه[2] آلته ، وتتصرف معه اداته ، ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا و فى حسن الظن بها مقتصداً فانه ان تجاوز مقدار الحق فى مقدار حسن الظن بها امّنها فاودعها تهاون الآمنين ، ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل

و قال ابراهيم بن هانىء — وكان ماجناً خليعاً ، كثير العبث متمرّداً و لولا ان كلامه هذا الذى اراد به الهزل يدخل فى باب الجدّ اما جعلته صلة الكلام الماضى ، و ليس فى الارض لفظ يسقط البتّة ولا معنى يبور[3] حتى لا يصلح امكان من الاماكن — قال ابراهيم بن هانىء : من تمام آلة القصص ان يكون القاص اعمى ويكون شيخاً بعيد مدى الصول ومن تمام آلة الرمر ان تكون الزامرة سوداء . و من تمام آلة المغنّى ان يكون فاره[2] البرذون ، برّاق الثنايا ، عظيم الكبر ، سيّء الخلق . ومن تمام آلة الخمّار ان يكون ذمّباً ، و يكون اسمه اذين ، او مازيار ، او ازدانقازار . اوميشا ،

---

١ — دفت كردن ـ بظاهر كار رسيدگى كردن و جستجو نمودن

٢ — (مُواناة) آماده شدن ٣ — (بَوار) كسادى ـ تباهى

٤ — (فَرُوَهه ، فراهه، فراهية) زيرك ـ خوش اندام و چابك

اوميشا. اوشلوما، و يكون ارقط[1] الثياب مختوم العنق . و من تمام آلة الشعر ان يكـون الشاعر اعرابياً . و يكون الداعى الى الله صوفياً . و من تماء آلة السؤدد ان يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس .

و لذالـك قال ابن سنان الجديـدى لراشد بن سلمة الهذلى : ما انت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيداً، ولا بارسح [2] فتكون فارسا. و قال شبيب بن شيبة الخطيب لبعض فتيان بنى منقر : و الله ما مطلت مطل الفرسان ، ولا فتقت فتق السادة

قال شاعر :

تقلّب رأساً لن يكن رأس سيّد وكفّاً ككفّ الضبّ اوهى أحقر

فعاب صغر رأسه و صغر كفّه ، كما عاب الشاعر كفّ عبدالله بن مطيع العدوى حين وجدها غليظة جافية فقال :

دعا ابن مطيع للبياع فجئته الـى بيعة قلسى لها غير آلف

فنا ولنى خشناء لمّا لمستها بكفّى ليست من اكفّ الخلائف

العمّانى الراجز والرشيد

اخبرنى ابراهيم بن السندى قال : دخل العمّانى * الراجز على الرشيد لينشده شعراً و عليه قلنسوة طويلة وخف سادج فقال : ابّاك ان

---

١ ـ خالهای سیاه ـ پارچهٔ خالدار ـ هرگاه در بدن باشد آنرا خجك گویند ٢ ـ (رَسَح) لاغری رانها بر اثر سواری

* ـ محمد بن ذؤيب عمانى بصرى از شعراء رجز سرا و لطيفه گو بود و بوسيلهٔ عبد الملك بن صالح بخدمت هرون الرشيد پيوست ومدايحى در حق او دارد .

تنشدنى الّا و عليك عمامـة عظيمة الكَور و خفّان دمالقان . قال ابراهيم قال ابونصر : فبكّر عليه من الغد و قد تزّيا بزىّ الاعراب فانشده ثُمَّ دنامنه فقبّل يده و قال : يا اميرالمؤمنين قد والله انشدت مروان ورأيت وجههو قبّلت يده و اخذت جائزته ، وانشدت يزيدبن الوليد و ابراهيـم بن الوليد و رأيت وجوههما و قبّلت ايديهما و اخذت جوائزهما ، وانشدت السفّاح و رأيت وجهه و قبّلت يده و اخذت جائزته و انشدت المنصور و رأيت وجهه و قبّلت يده واخذت جائزته ، وانشدتالمهدى و رأيت وجهه وقبّلت بده و اخذت جائزته ، وانشدت الهادى ورأت وجههُ قبّلت يده و اخذت جائزته ، هذا الى كثير من اشباه الخلفاء و كبار الامراء والسادة الرؤساء ، ولا والله ان رأيت فيهم أبهى منظراً ولا أحسن وجها و لا أنعم كفّاً ولا أندى راحة[1] منك ياامير المؤمنين و والله لو ألقيفى روعى انى اتحدّث عنك ما قلت الك ما قلت . فاعظم لهالجائزة على شعره واضعف له على كلامه و افضل عليـه فبسطه حتى تمنّى والله جميع من حضر انّهم قاموا ذلك المقام

فى الايجاز

ثمّ رجع بناالقول الى الكلام الاول . قال ابن الاعرابى قال معاوية ابن ابى سفيان لِصُحاربن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التى فيكم ؟ قال : شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : يـا اميرالمؤمنين (هم) بالبُسر[2] والرُّطب ابصر منهم بالخُطب . فقال لـه صُحار: أجل ، والله انا لنعلم ان الريحه لتنفخه ، وان البرد ليَعقده ، وان القمر

---

١ ـ (أَندىٰ راحَةً) بخشنده‌تر ـ دهنده‌تر ٢ — خرماى نارس

ليَصبِغه ، و ان الحر ليُنضِجه . فقال له معاوية : ما تعدّون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز . قال له معاوية : و مال الايجاز ؟ قال له صُحار : ان تجيب فلا تبطىء ، وان تقول فلا تخطىء . فقال معاوية : أَ وكذلك تقول ؟ قال صُحار : اقلني يا امير المؤمنين لا تُبطىء ولا تُخطىء .

و شأن عبد القيس عجيب ، و ذلك انهم بعد محاربة إيادٍ تفرّقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمّان و شقّ عمّان ، وفيهم خطباء العرب ، و فرقة وقعت الى البحرين و شقّ البحرين ، و هم من اشعر قبيلة في العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرّة البادية ، وفي معدن الفصاحة ، وهذا عجيب. و من خطبائهم المشهورين صعصعة بن صُوحان وزيد بن صُوحان وشيخان بن صُوحان . و منهم صُحار بن عيّاش . و صُحار من شيعة عثمان ، و بنو صُوحان من شيعة عليّ . و منهم مصقلة بن رقبة ، و رقبة بن مَصقلة و كَرِب بن رقبة .

و اذا صرنا الى ذكر الخطباء والنسّابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا و بالله التوفيق .

قال المفضّل بن محمد الضبي ، قلت لاعرابي منّا : ما البلاغة ؟ قال : الايجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خَطَل : قال ابن الاعرابي فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . قال ابن الاعرابي : قيل لعبدالله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعوات ! فقال : اللهم ارحمنا و عافنا ، وارزقنا . فقال رجل : لوزدتنا يا ابا عبد الرحمن ! فقال : تعوذ بالله من الاسهاب .

(باب الصمت)

كان اعرابيّ يجالس الشعبي يطيل الصمت ، فَسُئل عن طول صمته فقال : اسمع فاعلم ، و اسكت فاسلم وقالوا : او كان الكلام من فضّة لكان السكوت من ذهب . و قالوا : مقتل المرء بين لحييه و فكّيه . و اخذ ابوبكر صديق رضى الله عنه بطرف لسانه و قال : هـذا الذى اوردنى الموارد و قالوا : ليس شيء احقّ بطول سجن من لسان . و قالوا : اللسان سبع عقور [١]

و قال النبى صلى الله عليه و سلّم » و هل يكبّ الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد [٢] السنتهم . » و تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه و سلّم فخطل فى كلامه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلّم « ما اُعطىَ العبدُ شرّاً من طلاقة اللسان » و عن مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخّير عن ابيه . قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلّم فى وفد فقلنا : يا رسول الله انت سيدنا ، وانت اطولنا علينا طَولا ، و انت الجَفْنة الغرّاء . فقال النبيّ صلى الله عليه و سلّم « ايها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوِيَنّكم [٣] الشيطان . فانما انا عبدالله و رسوله »

و قال خالد بن عبدالله القسرى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله : من كانت الخلافة زانته فقد زنتها ، ومن شرّفته فقد شرّفتها ، فانت كما قال الشاعر

و تزيدين اطيب الطيب طيباً ان تمسّيه اينَ مثلكِ ابنا ؟
و اذا الدرّ زان حسن وجوه كان للدرّ حسن وجهكِ زينا

قال عمر انّ صاحبكم اُعطى مقولا ولم يُعط معقلا . و قال الشاعر .

---

١ — حيوان درندهٔ گزنده ٢ — دور شده مصدرش حَصْد است

٢ — (اِسْتِفْزاز) بر انگيختن ـ ترسانيدن ـ از جاى بر كندن

لسانك معسول و نفسك شحّة و دون الثريّا من صديقك مالكا

و أخبرنا انّ ناساً قالوا لابن عمر : ادع الله لنا بدعوات فقال : اللهم ارحمنا و عافنا و ارزقنا ، فقالوا : لو زدتنا يا ابا عبد الرحمن ! قال : نعوذ بالله من الاسهاب .

وقال ابوالاسود الدؤلى ، و فى ذكر الاسهاب - بقولها فى الحارث بن عبدالله ابن ابى ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو الفُباع ، وكان خطيباً من وجوه قريش و رجالهم ، وانّما سُمىّ الفُباع لانّه اتى بمكيال لاهل المدينة فقال: ان هذا المكيال لفُباع . فسمى به والفُباع الواسع الرأس القصير .

و قال الفرزدق لجرير :

و قلبك ما اعييت كاسر عينه زيادا فلم تقدر علىّ حبائله

فاقسمت لا آتيه تسعين حجّة ولو كسرت عنق الفُباع وكاهله

و قال شاعر :

ابّاك ابّاك المراء فانّه الى الشرّ دعاّء والمصرم جالب

و قال ابوالعتاهية :

والصمت اجمل بالفتى من منطق فى غير حينه

كل امرىء فى نفسه اعلى و اشرف من قرينه

وكان سهل بن هرون يقول : سياسة البلاغة اشدّ من البلاغة كما ان التوقّى على الدواء اشدّ من الدواء وكانوا يأمرون بالتبيّن والتثبّت وبالتحرّز من زلل الكلام ، و من زلل الرأى ، ومن الرأى الدَبرى[1] و الرأى الدَبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضىّ الرأى الاول و فوت استدراكه وكانوا يأمرون بالتحلّم والتعلّم ، و بالتقدّم فى ذلك اشدّ التقدّم . و قال الاحنف : قال عمر بن

---

١ — هر رأى كه پس از گذشتن كار براى شخص آيد عرب آنرا (دَبرى) نامند .

الخطاب رضى الله عنه : تفقّهوا قبل ان تسودوا . وكان يقول رضى الله عنه : السؤدد مع السواد . و انشدوا لكُثيِّر عزّة :

وفى الحلم والاسلام للمرء وازع و فى ترك طاعات الفؤاد المتيمِ
بصائر رشد للفتى مستبينة و اخلاق صدق علمها بالتعلّمِ

و قال الافوه الاودى .

اضحت قرينة قد تغيّر بشرها و تجهّمت بتحنّة القوم العدا
الوت [١] باصبعها و قال انّما يَكفيك ممّا لاترى ما قد ترى

و انشد :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها [٢] فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تُعذر ان وعظت وتُقتدى بالقول منك و يُقبل التعليم

قالوا : وكان الاحنف اشدّ الناس سلطاناً على نفسه . وكان الحسن تُترك لِما نُهى عنه . و قال الآخر :

لا تعذر انى فى الاساءة انّه شرّ الرجال من بسىء فيعذر

و قال الكميت بن زيد الاسدى :

ولم يقل بعد زلّة لهمُ عند المعاذير انّما حسبوا

وانشد الاحوص بن محمد .

قامت تخاصرنى [٣] بقنّتها [٤] خَود [٥] تأطّر [٦] غادة بكر

---

١ - اشاره كرد ٢ - كمراهى - نوميدى ٣ - خِصْر - ميان ، و (مُخاصَرَة) دست بميان همديگر كردن ٤ - بكناى رسن - و در اينجا اشاره به باريكى ميان معشوق است ٥ - زن جوان و نيك اندام و جمع آن خُوْد است ٦ - خم شدن .

كل يرى ان الشباب له في كل مبلغ لذّة عذر

و قال جرير في فوت الرأى :

ولا يتّقون الشرّ حتّى يصيبهم ولا يعرفن الامر الاّ تدبّرا

ومدح النابغة ناساً بخلاف هذه الصفة فقال :

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ولا يحسبون الشر ضرّة لازب

وانشد :

هفاهفوة كانت من المرء بدعة و ما مثله عن مثلها بسليم

فان يك اخطا في اخيكم فربّما اصاب التّى فيها صلاح تميم

و قال قائل عند يزيدبن عمربن هبيرة والله ماأتى الحارث بن شريح بيوم خير قطّ . فقال له الترجمان بن هريم : الاّ بلن اتى بيوم خير فقد اتى بيوم شرّ ، و ذهب الترجمان بن هريم الى مثل معنى قول الشاعر

و ما خلقت بنو زمّان الاّ اخيراً بعد خلق الناس طرّا

و ما فعلت بنو زمّان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرّا

و من هذا الجنس من الاحاديث ـ و هو يدخل في باب المدح ـ قال الاصمعى : وصلت بالعلم . و بلت بالملح . قال رجل مرة : ابى الذى قاد الجيوش و فتح الفتوح ، و خرج على الملوك واغتصب المنابر . فقال رجل من القوم: لاجرم ، لقد أُسِرّ وقُتل وصُلب ، فقال له المفتخر بابيه : دعنى من اسرابى و قتله وصلبه ، ابوك انت حدّث نفسه بشيء من هذا قط ؟

الحثّ على طلب البيان والتبيين

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجاتهم ، و انا اوصيك ان لاتدع التماس البيان والتبيين ان ظننت انّ لك فيهما طبيعة ، وانّهما يناسبانك بعض المناسبة ،

و يشا كلانك بعض المُشاكَله . ولا تهمل طبيعتك فيستولى الأ همال على قوّه القريحة و تستبدّ بها سوء العادة . و ان كنت ذا بَيانٍ واحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة و البلاغة و بقوّة المنّة يوم الحَفْل فلا تقصّر فى — اِلْتماس اعلاها سورة و ارفعها فى البيان منزلة ، ولا يقطعنّك تهيّب الجُهَلاء ، و تخويف الجُبَناء ، ولا تصرفنّك الرّوايات المعدولة عن وجوهها والاحاديث المتناولة على اقبح مخارجها ، و كيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة ، والاخبار المدخوله و بهذا الرأى الذى ابتدعوه من قِبَل انفسهم ، و قد سمعت الله تبارك و تعالى ذكر داود النبى عليه السلام فقال « واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اوّاب — الى قوله — و فصل الخطاب » فجمع له بالحكمة : البراعة فى العمل والرجاحة فى الحلم ، والاتساع فى العلم ، والصواب فى — الحكم ، جمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل و تخليص الملتبس والبصر بالحزّ فى موضع الحزّ والحسم فى موضع الحسم ؟ و ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلّم شعيباً النبى عليه السلام فقال « كان شعيب خطيب الانبياء » و ذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه و حلاّه لاسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء و داود عليه السلام سلفك و شعيب اِمامك مع ما تلونا عليك فى صدر هذ الكتاب من القرآن الحكيم والآى الكريم ؟ و هذه خطب رسول الله صلى الله عليه و سلّم مدوّنة محفوظة و مخلّدة مشهورة و هذه خطب ابى بكر و عمر و عثمان وعلى رضى الله عنهم و قد كان لرسول الله شعراء ينافحون [1] عنه و عن اصحابه بامره . وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يدفع ذلك احد .

فاما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلّف والخَطَل و التزيّد ، فانما يخرج

---

١ ـ جنگ و ستيز - دفاع

الى الاسهاب المتكلّف و الى الخطل المتزيد . فامارباب الكلام ، ورؤساء اهل البيان ، والمطبوعون المعاودون و اصحاب التحصيل و المحاسبه والتوّقي والشفقه والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى اطفاء نائرة او حمالة او على منبر جماعة اوفى عقد املاك بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعوالى السلاطة[١] والمراء ، [٢] والى الهذر[٣] والبذاء ،[٤] و الى العنج[٥] والرياء ؟ ولوكان هذا كما يقولون لكان علىّ بن ابى طالب و عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اكثر الناس فيما ذكرتم فلِمَ خطب صعصعة بن صُوحان عند على بن ابى طالب ؟ وقدكان ينبغى للحسن البصرى ان يكون احق التابعين بما ذكرتم ؟

قال الاصمعى : قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا قوم نسّاك يعيبون انشاد الشعر . قال : نسكوا نسكاً اعجمياً .

و زعمتم انّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال « شعبتان من شعب النفاق ، البذاء والبيان ، و شعبتان من شعب الايمان : الحياء والعىّ »

و نحن نعوذ بالله من العىّ ، و نعوذ بالله ان يكون القرآن يحثّ على البيان و رسول الله صلى الله عليه و سلّم يحثّ على العىّ ، و نعوذ بالله ان يجمع رسول الله صلى الله عليه و سلّم بين البذاء والبيان ، وربّما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار ، فالعىّ مذموم والخَطَل مذموم و دين الله تبارك و تعالى بين المقصّر والغالى .

وها هنا روايات كثيرة مدخولة ، واحاديث معلولة . ورَووا انّ رجلاً مدح الحياء عند الاحنف وانّ الاحنف قال : ربما يعود ذلك ضعفاً والخير لايكون

---

١ - زبان درازى — چرگى ٢ - پيكار — جدال ٣ - سخن بيهوده
٤ — بيهوده - ناپسند - بد . ٥ - برجستن - تكبر و بزرگ منشى

سببا للشرّ و لكنّا نقول : انّ الحياء اسم لمقدار من القمادير ، ومازاد على ذلك المقدار مسمّه ما احببت ، و كذلك الجود اسم لمقدار من المقادير ، فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار ، و للاقتصاد مقدار ، فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار ، وللشجاعة مقدار ، فالتهور و الخَور [١] اسم لما جاوز ذلك المقدار .

و هذالاحاديث ليست لعامتها اسانيد متّصلة . فان وجدتها متّصلة لم تجدهامحمودة و اكثرها جاءت مطلقة ليس لهاحامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قد ما فيها من الحسن .

فان اردت ان تتكلف هذه الصناعة وتُنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة اوحبّرت [٢] خطبة او الّفت رسالة ، فاتّاك ان تدعوك ثقتك بنفسك و يدعوك عُجبك بثمرة عقلك الى ان تنتحله و تدّعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل او اشعار اوخطب ، فان رأيت الأسماع تصغى له والعيون تحدج اليه ورايت من يطلبه و يستحسنه فانتحلـه [٣] ، فان كان ذلك فى ابتداء امرك وفى اول تكلّفك فلم ترَ له طالباً ولامستحسناً فعلّه ان يكون — مادام رثّا قضيباً — تعنيساً [٤] ان يحل عند هم محل المتروك ، فان عاودت امثال ذلك مراراً فوجدت الاسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك [٥] الذى لا يكذبك ، حرصهم عليه او زهدهم فيه . و قال الشاعر :

ان الحديث تغرّ القوم خلوته حتى يلحّ بهم عىٌّ و اكثار

---

١ — ضعف ٢ — (تَحْبير) آراستن - نيكو كردن . ٣- (اِنتِحال) چيزيرا بخود نسبت دادن ٤ - (عانِس) دختريكه شوهر كردنش ديرشودو در خانه بماند ، (تعنيس) بمعنى ماندن وكاسد شدن است ٥ — حلواه

وفی المثل المضروب « کلّ مجرٍ فی الخلامسر » ولم یقولوا مسرور و کلّ صواب . فلا تثق فی کلامك برأی نفسك . فانی ربما رأیت الرجل متماسکاً و فوق المتماسك حتی اذا صارالی رأیه فی شعره و فی کلامه و فی ابنه ، رأیته متهافتاً ، و فوق المتهافت . وکان زهیر بن ابی سلمی و هو احد الثلاثة المتقدمین یسمّی کبار قصائده (الحَولیات) و قال الحطیئة : خیر الشعر الحولیّ المنقّح . و قال البعیث الشاعر ، وکان اخطب الناس : انی والله ما ارسل الکلام قضیباً خشیباً [١] وما ارید ان اخطب یوم الحفل الا بالبائت [٢] المحکّك [٣] . وکنت اظن ان قولهم : محکّك کلمة مولدة حتّی سمعت قول الصعب بن علی الکنانی :

ابلغ فزازة انّ الذئب آکلها و جائع سَغِبٌ [٤] شرّ الذیب

ازلّ [٥] اطلس [٦] ذونفس محکّکة قد کان طار زمانا فی الیعاسیب [٧]

و تکلّم یزیدبن ابان الرقاشی ثمّ تکلّم الحسن و اعرابیان حاضران ، فقال احدهما لصاحبه : کیف رایت الرجلین ، قال : امّا الاوّل فقاصّ مُجید و اماالآخرفعربیّ محکّك . و نظر اعرابی الی الحسن فقال له رجل : کیف تراه ؟ قال : اری خیشوم حرّ . و ارادوا عبدالله بن وهب الراسبی علی الکلام یوم عقدت له الخوارج الرئاسة فقال : و ما انا والرأی الفطیر والکلام القضیب ؟ ولما فرغوا من البیعة له قال : دعوا الرأی یغِبّ فان غبوبه

---

١ — صیقلی نشده ـ غبر منقح ٢ — شب مانده ـ آنچه پیش از وقت در آن تأمل شود ٣ — سائیده شده ـ آنچه در آن تأمل نمایند وحك واصلاح شود ٤ ـ گرسنه ٥ — یکی از صفات گرك است و بربنوعی از آن که لاغر سرین باشد اطلاق شود ٦ — گرگ تیره رنگ بسیاهی آمیخته ٧ ـ جمع یعسوب ـ ملکه زنبور واعساب بمعنی دویدن و گریختن گرگ است

يكشف لكم عن محضه[1] . و قيل لابن التوأم الرقاشي . تكلم . فقال : ما اشتهى الخبر الا بائتاً و قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : انا اشعر منك . قال : و بِمَ ذاك ؟ قال : لانى اقول البيت و اخاه و تقول البيت و ابن عمّه . و قالوا : لو كان شعر صالح بن عبد القدوس و سابق البربرى مفرّقا فى اشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار ارفع مما هى عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائره فى الآفاق ، ولكن القصيدة اذا كانت كلّها امثالاً لم تسر ولم تجرِ مجرى النوادر ، و متى لم يخرج السامع مع شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع .

و قال بعض الشعراء لرجل : انا اقول فى كل ساعة قصيده و انت تقرضها فى كل شهر فَلِمَ ذلك ؟ قال : لانّى لا اقبل من شيطانى[2] مثل الذى تقلبه من شيطانك . قالوا : و انشد عقبة بن رؤبة اباه رؤبة بن العجاج * شعراً و قال له : كيف تراه ؟ قال له : يا بنىّ ان اباك ليعرض له مثل هذا يميناً و شمالا فما يلتفت اليه . و قدروا ذلك فى زهير وابنه كعب .

وقيل لعقيل بن علفة : لِمَ لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما احاط بالعنق . و قيل لابى المهوس : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : لم اجد المَثَل النادر الا بيتاً و احداً ولم اجد الشعر السائر الا بيتاً واحداً . و قال مسلمة بن عبد الملك لنصيب : يا ابا محجن اما تحسن الهجاء ؟ قال : اما ترانى أحسن مكان عافاك الله . لا عافاك الله . . ؟ ولاموا الكميت بن زيد على

---

* رؤبة العجاج يكى از شعراى رجز گوى دورهٔ اموى بود و دورهٔ عباسى را نيز دريافت و ابو مسلم خراسانى را مدح نموده و جائزهٔ از او دريافت كرد .

١ ـ شر با هرچيز خالص

٢ — شعراى عرب معتقد بودند هر كدام شيطانى دارند كه شعر را برآنها القا ميكند وجرير و فرزدق معتقد بودند كه شيطانشان يكى بوده است

ترك الاطالة فقال : اناعلى القصار اقدر : وقيل للعجاج : مالك لاتحسن الهجاء ؟ قال : هل فى الارض صانع الاّ و هو على الفساد اقدر ، و قال رؤبة : الهدم اسرع من البناء .

و هذه الحجج التى ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة انّما ذكرو ها على وجه الاحتجاج لهم . و هذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ، و يكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة ، و يكون له طبيعة فى الحداء او فى التغيير اوفى القراءة بالالحان وليس له طبيعة فى الغناء و ان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون . و يكون له طبيعة فى الناى و ليس له طبيعة فى السرناى — و يكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له فى القصبتين المضمومتين ، و يكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غير ها ، و يكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر . و مثل هذا كثير جدا .

وكان عبدالحميد الاكبر وابن المقفّع مع بلاغة اقلامهما والسنتهما لاستطيعان من الشعر الا مالا يُذكر مثله و قيل لابن المقفّع فى ذلك ، فقال : الذى ارضاه لا يجيئنى والذى يجيئنى لا ارضاه و هذا الفرزدق و كان مستهترا بالنساء زيرُ غوانٍ وهوفى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور . و مع حسده لجرير — و جرير عفيف لم يعشق امرأة قطّ — و هو مع ذلك اغزل الناس شعراً . و فى الشعراء من يستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد . و منهم من يجمعهما : كجرير و عمر بن لجأ وابى النجم و حميد — الارقط و العمّانى و ليس الفرزدق فى طواله با شعر منه فى قصاره . و فى الشعراء من يخطب و فيهم من لا يستطيع الخطبة و كذلك حال الخطباء

فی قرض الشعر . و شاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . و قال الفرزدق : انا عند الناس اشعر الناس و ربّما مرّت علیّ ساعة و نزع ضرس اهون علیّ من ان اقول بیتا واحداً . و قال العجاج : لقد قلت ارجوزتی التی اولها :

بکیت والمحتزن البکیّ و انّما یأتی الصبا الصبیّ
أطرباً وانت قنسریّ[1] والدهر بالانسان دوریّ

و انا بالرمل فانثالت علیّ قوافیها انثیالا [2] وانّی لأرید الیوم دونها فی الایّام الکثیرة فما اقدر علیه . و قال لی ابو یعقوب الخریمی : خرجت من منزلی اربد الشماسیة فابتدأت القول فی مرثیه لابی التختاخ فرجعت والله و ما امکننی بیت واحد . و قال الشاعر :

و قد یقرض الشعر البکیّ[3] لسانه وتعیی القوافی المرء وهو خطیب

من مکارم اخلاق النبی ص

کان رسول الله صلی الله علیه و سلّم یأکل علی الارض و یجلس علی الارض و یلبس العباء و یجالس المساکین و یمشی فی الاسواق و یتوسّد یده الشریفة ویقصّ من نفسه و یلطع[4] اصابعه ویأکل متّکئاً ولم یُرَ قطّ ضاحکاً ملء فیه ، و کان یقول انّما انا عبد آکل کما یأکل العبد وأشرب کما یشرب العبد ولو دعیت الی ذراع لاجبت ولو اهدی الی کُراع[5] لقبلت» لم یأکل قطّ وحده ولا ضرب احدا بیده الاّ فی سبیل ربّه ، ولو لم یکن من کرم عفوه و رجاحة حلمه الاّ ما کان منه یوم فتح مکة لکان ذلك من اکمل الکمال ، وذلك انّه حین دخل مکة عنوة ، ولقد قتلوا اعمامه وبنی اعمامه

---

۱ — پیر و فرتوت ۲ — از هر طرف حمله آوردن ـ ریختن خاك و شن ۳ — کسی که سخن کم بگوید و نا در سخن درماند

٤ — (لَطْعْ) لیسیدن ٥ — پاچه

و اولياءه و قادة انصاره بعد ان حصروه في الشعاب و عذّبوا اصحابه بانواع العذاب و جرحوه في بدنه و آذوه في نفسه و سفّهوا عليه و اجمعوا على كيده فلما دخلها بغير حمدهم ، و طهر عليهم على ضغن منهم ، قام فيهم خطيباً فحمدالله و اثنى عليه ثم قال :

اقول كما قال اخي يوسف : « لاتثريب [1] عليكم اليوم يغفرالله لكم و هو ارحم الراحمين »

(خطبة الوداع)

و من خطبه صلى الله و عليه و سلّم خطبة حجّة الوداع وهي :

« الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب اليه ، و نعوذ بالله من سيئات اعمالنا . من يهد الله فلامضلّ له ، و من يُضلل فلا هادي له ، واشهد انّ لا اله الاّ الله وحده لا شريك له واشهد انّ محمّداً عبده و رسوله . اوصيكم عبادالله بتقوى الله واحثّكم على طاعته و استفتح بالذي هو خير .

اما بعد ايّهاالناس اسمعوا منّي ابيّن لكم فانّي لا أدري لعلّي لا القاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

ايّهاالناس انّ دماءكم و اموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

الاهل بلّغت ؟ اللّهمّ فاشهد

فمن كانت عنده امانة فليؤدّها الى من ائتمنه عليها . وانّ ربا الجاهليّة موضوع ، و ان اوّل ربا ابدأ به ربا عمّي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهليّة موضوعة ، و ان اوّل دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . وان مآثر الجاهليّة موضوعة غير السدانة والسقاية

---

١ — شرزنش و نكوهش

والعَمْد قود و شبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر. و فيه مائة بعير، فمن زاد فهو من اهل الجاهلّية.

الا هل بلّغت؟ اللّهمّ فاشهد.

ايّها الناس، انّ الشيطان قد يئس ان يُعبد فى ارضكم هذه ولكنّه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك ممّا تحقّرون من اعمالكم.

ايّها الناس «انّما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرّمونه عاماً ليوا طئوا عدّة ماحرم الله» و انّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض، و «ان عدّة الشهور عندالله اثناعشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات و الارض منها اربعة حرم» ثلاثة متواليات و واحد فرد: ذوالقعدة، ذو الحجة، والمحرّم، و رجب، الذى بين جمادى و شعبان.

الا هل بلّغت؟ اللّهمّ فاشهد.

ايّها الناس ان لنسائكم عليكم حقاً، و لكم عليهنّ حق: لكم عليهنّ ان لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يُدخلن احداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة، فان فعلن فانّ الله قد اذن لكم ان تعضلوهنّ [1] وتهجروهنّ فى المضاجع و تضربوهن ضرباً غير مبرح [2]، فان انتهين و اطعنكم فعليكم رزقهنّ و كسوتهنّ بالمعروف، وانّما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهنّ شيئاً، اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهنّ خيراً.

الا هل بلّغت؟ اللّهمّ فاشهد.

ايّها الناس، انّما المؤمنون اخوة، ولا يحلّ لامرئ مال اخيه الا عن طيب نفس منه.

---

١ - (عَضْلاً) ستم - سختى ٢ - شديد - گزند وبدى بسيار.

ألاهل بلّغت ؟ اللّهمّ فاشهد .

فلاترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فانّى قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لم تضلّو بعده، كتاب الله .[1]

ألاهل بلّغت ؟ اللّهمّ فاشهد .

ايّها الناس ، ربّكم واحد وانّ اباكم واحد ، كلّكم لآدم وآدم من تراب ،انّ اكرمكم عندالله اتقاكم ، وليس لعربىّ على عجمىّ فضل الاّ بالتقوى .

الاهل بلّغت ؟ اللّهمّ فاشهد .

قالوا : نعم :

قال : فليُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ .

ايّها الناس ، انّ الله قد قَسَمَ لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولايجوز لوارث وصيّة فى اكثر من الثلث والولد للفراش و للعاهر الحَجَر ، من ادّعى الى غير ابيه اوتولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يُقبل منه صَرف ولاعدل[2] . والسلام عليكم و رحمة الله »

(باب من اللُغز فى الجواب)

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنماً وفى يده عصاً فمرّ به رجل فقال : ياراعى الغنم ماعندك ؟ قال : عجراء من سلم - يعنى عصاه - قال : انّى ضيف قال : للضيفان اعددتها .

و قال ابن سليم : ان قيس بن سعد بن عبادة قال : اللهمّ ارزقنى

---

۱ — در بيشتر كتب عامه و شيعه عبارت چنين است : « فانى قدتركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده . كتاب الله و عترتى »

۲- صَرف بمعنى توبه و عَدل بمعنى فديه است

حمداً و مجداً فانّه لاحمد الاّ بفعال و لا مجد الاّ بمال .

و قال خالدبن الوليد لاهل الحيرة : اخرِجوا الىّ رجلاً من عقلائكم . فاخرجوا اليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغسانى و هوالذى بنى القصر ، وهو يومئذ ابن‌خمسين و ثلثمائة سنة فقال له خالد : من اين اقصى‌اثرك ؟ قال : من‌صلب‌ابى . قال : فمن اين‌خرجت ؟ قال : من بطن امى ، قال : فعلام انت ؟ قال : على الارض ، قال : ففيم انت ؟ قال : فى ثيابى ، قال : ماسنّك ؟ قال : ابن رجل واحد ، قال : كم اتى‌عليك من الدهر ؟ قال : لو اتى علىّ شىء لقتلنى ، قال : ما تزيدنى مسألتُك الاّ غماً . قال ما اجبتك الاّ عن مسئلتك . قال : أعرب انتم‌ام نبط؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا ، قال : فحرب انتم ام سلم ؟ قال : سلم ، قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم فينهاه ، قال : كم اتت‌عليك سنة ؟ قال خمسون و ثلثمائة . قال : ما ادركت ؟ قال : ادركت سفن البحر ترفأ [١] الينا فى هذا الجُرف [٢] ، و رأيت المرأة من اهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولاتتزوّد الارغيفاً واحداً فلا تزال فى‌قرى مخصبة متواترة حتى تردالشام ثم قداصبحت خراباً يباباً [٣] وذلك دأب الله فى‌العباد والبلاد .

واتى ازهرَ بنَ عبدالحارث رجلٌ من بنى يربوع فقال : الا أدخل ؟ قال : وراءك اوسع لك ، فقال : ان الشمس أحرقت رجلى ، قال : بل عليها تبردا ، قال : يا آل يربوع ؟ قال : ذليلا دعوت ، يا بنى حريص اطعمتكم‌عاماً اول جُلّة [٤] فاكلتم جلتكم و أغرتم على جلّة الضيفان .

و قال الحجّاج لرجل من‌الخوارج : أجمعت القرآن ؟ قال : أمتفرقا

---

١ — لنكر مياندا خت ـ وَرْفأ محل لنكر انداختن است ٢ — ساحل
كه خاك آن فروريزد ٣ — ويران ٤ — زنبيل كه ازبرگ خرما بافند

كان فاجمعه ؟ قال : أتقراه ظاهراً ؟ قال : بل اقرؤه و انا انظر اليه ، قال : أتحفظه ؟ قال : أخشيتُ فراره فاحفظه ؟ قال : ما تقول فى امير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : لعنه الله ولعنك معه قال : انك مقتول فكيف تلقى الله ؟ قال : القاه بعملى و تلقاه بدمى .

وقال لقمان لابنه و هو يعظه : يا بنّى ازْحَمِ العلماءَ بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ، ولاترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً وعلى اعناق الرجال كلاً ، وصُم يوماً يكسر شهوتك ولا تَصُمْ يوما يضرّ بصلواتك فان الصلاة افضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم وكالزوج للارملة ولا تحابّ [١] القريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين البتّة .

وسمع الاحنف رجلاً يُطرى [٢] يزيد عند معاوية فلمّا خرج من عنده استحنفر [٣] فى ذمّهما ، فقال الاحنف : مه ، ان ذ الوجهين لايكون عندالله وجيهاً . وقال سعيدبن ابى عروبة : لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على مافيهما من قبح المنظر وعجز المخبر — احبّ الىّ من انْ اكون ذاوجهين و ذالسانين و ذاقولين مختلفين . و قال ايوب السختيانى : النمّام ذوالوجهين احسن الاستماع وخالف فى البلاغ .

(عقيل بن ابى طالب)

وكان عقيل رجلاً قد كُفّ بصرُه وله لسانه ونسبُه و ادبُه و جوابُه فلما فضل نظرا ءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها اطول وغاضَبَ علياً

---

١ — تَحابُب ـ يكديگررا دوست گرفتن ٢ — اِطراء مدح كردن ـ خوبى كسى را گفتن ٣ — زياده روى كرد ـ مبالغه نمود .

و اقام بالشّام ، فكان ذلك ايضاً اطلق للسان الباغى والحاسد فيه ، وزعموا انّه قال له معاوية : هذا ابو يزيد ولولا انّه علم انّى خير له من اخيه لَمَا اقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : اخى خير لى فى دينى ، وانت خير لى فى دنياى . وقال له مرة : انت معنا يا ابا يزيد ؟ قال : ويوم بدر كنت معكم . . ؟

و قال معاوية يوماً : يا اهل الشام هل سمعتهم قول الله تبارك و تعالى فى كتابه العز ز « تبّت يدا ابى لهب و تبّ » ؟ قالوا : نعم . قال : فانّ ابا لهب عمّه . فقال عقيل : فهل سمعتم قول الله عزّ وجلّ « وامرأته حمّالة الحطب » ؟ قالوا : نعم قال: فانها عمّته قال معاوية : حسبنا ما لقينا من اخيك .

و ذكروا ان امرأة عقيل و هى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت : يا بنى هاشم لا يحبّكم قلبى ابداً ، اين ابى ، اين عمّى ، اين اخى ؟ كأنّ اعناقهم اباريقُ الفضّة ترد انُفُهم قبل شفاههم ، قال لها عقيل : اذا دخلت جهنّم فخذى على شمالك ،

المنصور والشاب الهاشمى

حدّثنى ابراهيم بن السندّى عن ابيه قال : دخل شابّ من بنى هاشم على المنصور فسأله عن وفاة ابيه ؟ فقال : مرض ابى رضى الله تعالى عنه يوم كذا و مات رضى الله تعالى عنه يوم كذا ، و ترك رضى الله تعالى عنه من المال كذا و من الولد كذا ، فانتهره الربيع و قال : بين يدى امير المؤمنين توالى بالدعاء لابيك ؟ فقال الشاب : لا الوُمك لِانّك لم تعرف حلاوة الآباء قال : فما علمنا ان المنصور ضحك فى مجلسه ضحكاً قطّ افتر عن نواجذه الاّ يومئذ .

آداب الملوك

حدّثنى ابراهيم بن السندى عن ابيه قال : دخل شابّ من بنى هاشم

على المنصور فاستجلسه ذات يوم و دعا بغدائه فقال للفتى: ادنه؟ فقال لقد تغدّيتُ يا امير المؤمنين، فكّف عنه الربيع حتّى ظننّا انّه لم يفطن لخطابه، فلما نهض للخروج امهله فلما كان من وراء الستر دفع فى قفاه، فلما رأى ذلك الحجّاب منه دفعوا فى قفاه حتى اخرجوه من الدّار، فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع الى المنصور، فقال المنصور: انّ الربيع لا يقدم على مثل هذا الاّ وفى يديه حجّة فان شئتم اغضيتم على ما فيها وان شئتم سألته و انتم تسمعون. قالوا: فاسأله؟ ودعا الربيع وقصّوا قصّته، فقال الربيع: هذا الفتى كان يسلّم من بعيد و ينصرف، فاستدناه امير المؤمنين حتّى سلّم عليه من قريب ثم امره بالجلوس ثمّ تبذّل بين يديه واكل ثمّ دعاه الى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التى صيّره فيها الى ان قال حين دعاه الى غدائه: تغديتُ. و اذا ليس عنده لمن تغدّى مع امير المؤمنين الاسدُ خلّة الجوع، ومثل هذا لايقوّمه القول دون الفعل

حدّثنى ابراهيم بن السندى عن ابيه قال: والله انّى لواقف على رأس الرشيد والفضل بن الربيع واقف فى الايسر، واللحسن اللؤلؤى يسائله و يحدّثه عن امور وكان آخر ما سأله عن بيع امهات الاولاد، فلولا انّى ذكرت ان سلطان ماوراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحَرَسْ و ان سلطانى انّما هو على من خرج من حدود الدّار لقد كنت اخذت بضَبْعِه[1] و اقمته، فلمّا ان صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع: أمَا والله لوكان هذا منك فى مسايرة او موقف لعلمت ان للخلافة رجالاً يصونونها عن مجلسك.

و حدّثنى ابراهيم بن السندى قال: بينا الحسن اللؤلؤى فى بعض

---

١ — بازو و ميانهٔ بازو

الليالى بالرقة يحدّث المأمون ـ والمأمون يومئذ امير ـ اذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى : نمتَ ايّها امير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقىّ والله ، خذ يا غلام بيده ، قال : وكنّا يوماً عند زيادبن محمدبن منصوربن زياد ـ و قد هيّأ لنا الفضل بن محمد طعاماً ومعنا فى المجلس خادم وكان لايتهم ـ فجاء رسول الفضل الى زياد فقال : يقول اخوك : قد ادرك طعامنافتحوّلوا . و معنا فى المجلس ابراهيم النظّام و احمد بن يوسف و قطرب النحوى ، فى رجال من ادباء الناس و علمائهم ، فما منّا احد فطن لخطأ الرسول ، فاقبل عليه مبشر الخادم فقال : يا ابن اللخناء ، تقف على رأس سيّدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عرض الناس ؟ الاتقول : ياسيدى يقول لك اخوك : ترى ان تصير الينا باخوانك فقد تهيّأ امرنا ؟

يجب للاديب ما يجب للمليك من حقوق الخدمة

و اتبعت خادماً كان قد خدم اهل الثروة واليسار و اشباه الملوك ، فمرّ به خادم من معارفه ممّن خدم الملوك فقال : انّ الاديب ـ وان لم يكن ملكاً ـ فقد يجب على الخادم ان يخدمه خدمة الملوك ، فانظر انْ تخدمه خدمة تامّة ، قلت له : وماالخدمة التامّة ؟ قال الخدمة التامّة ان تقوم فى دارك لبعض الامر و بينك و بين النعل ممشى خمس خطى فلا يدعك ان تمشى اليها ولكن يأخذها و يدينها منك ، و من كان يضع النعل اليسرى قدّام الرِجل اليمنى فلاينبغى لمثل هذا ان يدخل دار ملك ولا اديب ، و من الخدمة التامّة ان يكون اذا رأى متّكئاً يحتاج الى مخدّة [1] انلا ينتظر امرك ويتعاهد ليقة الدواة قبل ان تأمر ان يصّب فيها ماءاً او سواداً ، وينفض عنها الغبار قبل ان يأتيك بها ، وان رأى بين يديك قرطاساً

---

١ — بالش

على طيّه قطع رأسه و وضعه بين يديك على كسره و اشباه ذلك .

كلام لبعض المتكلمين

الحمد لله كما هوا هله والسّلام على انبيائه المقربين الطّيبين . اخى لا تغتر بطول السّلامة مع تضييع الشكر ، ولا تعلمن نعمة الله فى معصية ، فان اقلّ ما يجب لمهديها الاّ تجعلها ذريعة فى مخالفته واعلم ان النِعَم نوافر ، ولَقلّمْا اقشعت [١] نافرة فرجعت فى نصابها ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الراهن منها بكرم الجوار و استفتح باب المزيد بحسن التوكل ، ولا تحسب انّ سُبوغ [٢] سترِنِعَمِ الله عليك غير متقلّص [٣] عمّا قريب اذا لم ترج لله و قاراً ، و انّى لأخشى ان يأتيك امر الله بغتة [٤] اولإملاء ، فهوا ولى مغبّة [٥] و اثبت فى الحجّة ولان لاتعلم ولا تعمل خير من ان تعلم ولا تعمل ، انّ الجاهل العامل لم يؤت من سوء نيّة ولا استخفاف بربوبيّة ، وليس كمن قهرته الحجّة ، و اعرب له الحق مفصِحاً عن نفسه فآثر الغفلة والخسيس من الشهوة على الله تبارك و تعالى ، فاسمحت نفسه عن الجنّة و اسلمها لِلاَبد العقوبة ، فاستشرْ عقلك و راجع نفسك و ادرس نِعَمَ الله عليك وتذكّر احسانه اليك فانّه مجلبة للحياء ، و مردعة [٦] للشهوة ، ومشحّذة [٧] على الطاعة ، فقد اظلّ البلاء اوكان قد ، فكفكف عنك غرب شؤبوبه [٨] وجوائح [٩] سطواته بسرعة النزع و طول التضرع .

---

١ — بر طرف شد ـ پراكنده شد ٢ — فراخى نعمت ـ ريزش
٣ — بر طرف شدن و كم شدن ٤ — ناگهان ٥ — پايان
٦ — باز دارنده ٧ — تَشحْيذ تيز كردن ـ آماده كردن ٨ — يكدفعه از باران ـ ابر بزرك وحدّ هرچيزى وشدت دفع آن ٩ — اِجْتياع ـ هلاك گردانيدن واز بيخ بر كندن

ثلاث هنّ اسرع فی العقل من النار فی يَبَس العرفج :[1] اهمال الفكرة، وطول التمنّی والاستغراب فی الضحك ، إنّ الله لم يخلق النار عبثاً ولا الجنة هملاً ،[2] ولا الانسان سدى ، فاعترف برقّ العبودية وعجز البشرّية ، فكلّ زائد ناقص وكلّ قرين مفارق ، وكلّ غنیّ محتاج وان عَصَفَت[3] به الخُيَلاء[4] و ابطره[5] العُجْب و صال[6] على الاقران فانه مذال مدبر و مقهور ميسر ، ان جاع سخط المحنة و ان شبع بطر النعمة ، ترضيه اللمحة فيستشرى* مرحـاً ، و تغضبه الكلمة فيستطير شَفَقاً ،[7] حتى تنفسخ لذلك منته ، و تنتقض مريرته ، و تضطرب فريصته ،[8] وتنتشر عليه حجته ، و للعجب من لبيب توبقه الحياطة ، و يسلم مع الاضاعة ، و يؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة ، ان اهمل عمى وان علم نسى ، كيف لم يتخذ الحق معقلا ينجيه ، والتوكل ذائداً يحميه ، أَعمَى عن الدلائل ، و عن وضوح الحجّة ، ام آثر عاجل الخسيس على الآجل النفيس ، و كيف توجـد هذه الصفة مع صحة العقيدة و اعتدال الفطرة ، وكيف يشير رائد العقل بايثار القليل الفانى على الكثير الباقى ؟

و ما اظن الذى اقعدك عن تناول الحظ مع قرب مجناه - حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ، ولا يقدح فى عزَ ماتك فوت الجنّة ، و حتى ثقلت على سمعك الموعظة و نأت عن قلبك العبرة ، الاّ طول مجاورة التقصير و اعتياد الراحة والانس بالهوينا و ايثار الاخف والف قرين السوء ، فاذكر - الموت و أدم الفكرة فيه فانّ من لم يعتبر بما رأى لايعتبر بما لايرى ، وان

---

١ — يكنوع درخت ريگستانى است ٢ — بدون سر پرست خودسر بيهوده ٣ — وزيد ٤ - تكبّر - بزرك منشى ٥ - كردن كشى - ناسپاسى ٦ — حمله كرد ٧ — ترس ٨ — گوشت شانه يارگ كردن - جمع فرائص * - استشراء عظيم ومهم دانستن

كان ما يوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ما انت عليه و هجنة ما اصبحت فيه من ايثار باطلك على حق الله واختيار الوهن على القوة والتفريط على الحزم والاشفاق على الدون واصطناع العار والتعرض للمقت وبسط لسان العائب ـ فمستنبطات الغيب احرى بالعجز عن تحريكك و نقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربّك فاستحى لِلُبِّك واستبق ما افضل الخِذلان من قوّتك قبل ان يستولى عليه الطبع ويشتد عليه العجز، أَوَما علمت ان المعصية تثمر المذلة ، وفَلُّ غرب اللسان مع السلاطة ؟ بل أما علمت ان ـ المستشعر بذلّ الخطيئة المخرج نفسه من كنف العصمة المتحلى بدس ـ الفاحشة قطف الثناء زمر المروّة قصىّ المجلس لا يشاور وهوذ وبذلاء ، ولا يصدر و هو جميل الرواء ، يسالم من كان يسطو عليه ، و يضرع لمن كان يرغب اليه ، يجذل بحاله المبغض الشانى ، و يثلب بقربه القريب الدنىّ ، غامض الشخص ضئيل الصوت نزر الكلام متلجلج الحجة يتوقع الاسكات عند كل كلمة و هو يرى فضل مزيته و صريح لبّه و حسن فضيلته ولكن قطعه سوء ماجنى على نفسه ولو لم تطلع عليه عيون الخليقة لهجت العقول بادهانه و كيف يمتنع من سقوط القدر و ظن المفترس من عرى من حلية التقوى و سلب طائع الهدى ، و لو لم يتغشه ثوب سريرته و قبيح ما احتجن اليه من مخالفة ربّه لاضرعته الحجة ولفسخه وهن الخطيئة ولقطّعه العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار ذوى الطهارة فى الكلام وادلال اهل البراءة فى النداء و هذا حال الخاطىء فى عاجل الدنيا ، فاذا كان يوم الجزاء الاكبر فهو عان لا يُفك و اسير لا يُفادى وعارية لا تؤدّى ، فاحذر عادة العجز والف الفكاهة و حب الكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة والتأسف على الفائت منها وضعف الندم فى اعقابها ،

اخی ، انعی الیك القاسی فانه میت و ان کان متحرکاً ، و اعمی وان کان رائیاً ، فاحذر القسوة فانها رأس الخطایا وامارة الطبع ، وهی الشوهاء العاقر والداهیة المقام ، و اراك ترکض فی حبائلها و تستقبس من شررها ، ولا بأس ان یعظ المقصر مالم یکن هاذیاً ، ولن یهلك امرؤ عرف قدره ، و رُبَّ حامل علم الی من هو اعلم منه . علّمنا الله و ایا کم مافیه نجاتنا واعاننا و ایا کم علی تأدیة ما کلفنا والسلام .

واعظ بین یدی المهدی

دخل علی المهدی صالح بن عبدالجلیل فسأله ان یأذن له فی الکلام فقال : تکلم فقال : اِنّا امّا سهُل علینا ما توّعر علی غیرنا من الوصول الیك قمنا مقام الاداء عنهم وعن رسول الله صلی الله علیه وسلّم باظهار مافی اعناقنا من فریضة الامر والنهی عند انقطاع عذر الکمتان فی التقیة ولا سیماحین اتّسمتَ بمیسم التواضع و وعدت الله وحملة کتابه ایثار الحقّ علی ماسواه ، فَجَمَعَنا و ایّاك مشهد من مشاهد التمحیص[1] لیتمّ مؤدّینا علی موعود الاداء عنهم وقابِلُنا علی موعد القبول ، او یردنا تمحیص الله ایّانا فی اختلاف السرّ و العلانیة ویحلّینا بحلیة الکاذبین ، فقد کان اصحاب رسول الله صلی الله علیه و سلّم یقولون : من حجب الله عنه العلم عذّبه علی الجهل ، واشدّ منه عذاباً من اقبل الیه العلم و ادبر عنه و من اهدی الله الیه علماً فلم یعمل به فقد رغب عن هدایة الله وقصّر بها ، فاقبل ماأهدی الله الیك من اَلْسنتنا قبول تحقیق وعمل لاقبولاً فیه سِمعة[2] و ریاء فانّه لایخلفك منا اعلام لِما تجهل ، او مواطأة علی ما تعلم ، او تذکیر لك من غفلة ، فقد وطّن الله تبارك و تعالی

---

۱ — آزمودن ۲ — شهرت

نبّه صلى الله عليه وسلّم ، على نزولها تعزية عمّا فات و تحصيناً من التمادى و لالة على المخرج فقال : « وامّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انّه هو السميع العليم » فاطّلع الله على قلبك بما ينوّر الله به القلوب من ايثار الحق و نابذة الاهواء ، فانّك ان لم تفعل ذلك يرى اثرك و اثر الله عليك فيه ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله .

الحلّى والسمات

و بالناس حفظك الله اعظم الحاجة الى ان يكون لكل جنس منهم سيماً و لكل صنف منهم حلية و سِمة [١] يتعارفون بها . قال الفرزدق :

به نَدَبٌ مما يقول ابن غالب يلوح ، كمالا حت و سوم المصدّق

و قال الآخر :

انار حتّى صدقت سِماتُه و ظهرت من كرم آياتُه

و ذكر بعض الاعراب ضروباً من الوَسْم فقال :

بهمنّ فى خُطّافها علط [٢] وَسم وحلق فى آخر الذفرى [٣] نُظم

معها نظام مثل خط بالقلم وقُرمة [٤] ولست ادرى من قرم

مطاعن الشعوبية على خطباء العرب

الحمد لله ولا حول ولا قوّة الاّ بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصّة ، و على انبيائه عامّة .

---

١ — نشانه ـ علامت ٢ — رنك سياهى است كه زنان با آن رخسار را آرايش ميدادند ٣ — پس گوش و سر و گردن

٤ — محل بريدگى از بينى ـ پوست بدن كه براى نشان بريده شود ولى قطع نگردد .

هذا ابقاك الله الجزء الثالث من القول فى « البيان و التبيين » . و ما شابه ذلك من غُررِ الاحاديث و شاكله من عيون الخُطب ، و من الفِقَر المستحسنة والنُتَف[1] المتخيّرة والمقطعات المستخرجه ، وبعض ما يجوز فى ذلك من اشعار المذاكره والجوابات المنتخبة .

و نبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبيّة ومن يتحلّى باسم التسوية و بمطا عنهم على خطباءالعرب بأخذالمِخصَرة عند مناقلة الكلام ومساجلة[2] الخصوم بالموزون والمقفّى و المنثور الذى لم يُقَفَّ . و بالارجاز عند المتح ، وعند مجاثاة[3] الخصم وساعة المشاولة[4] على النفس والمجادلة والمجاولة ، وكذلك الأسجاع عندالمنافرة والمفاخرة ، و استعمال المنثور فى خطب الحَمالة ، [5] و فى مقامات الصلح وسلِّ السَّخيمة [6] و القول عند المعاقده والمعاهدة و ترك اللفظ يجرى على سجيّته و على سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولااختلاف تأليف ولاالتماس قافية ولا تكلّفِ لوزنٍ ، مع الذى عابوا من الاشارة بالعصىّ والاتّكاء على اطراف القسىّ ووخَدّ[7] وجه الارض بها واعتمادها عليها اذا استحفزت فى كلامها ، وافتنّت يوم الحفل فى مذاهبها ، ولزومها العمائم فى ايّام الجُموع و اخذها المخاصر[8] فى كلّ حال ، و جلوسها فى خطب النكاح ، وقيامها فى خطب الصلح وكل مادخل

---

١ — برچيده و برگزيده ها — مفردش (نُتْفَة) است ونَتْف بمعنى بركندن مو ميباشد ٢ — مفاخرت كردن باهم ٣ — زانربزانو نشستن ٤ — با نيزه بسوى يكديگر حمله بردن ٥ — ديه و تاوان ٦ — كينه ٧ — خراشيدن و شكافتن زمين ٨ — مفردش (مِخْصَرَة) است . آنچه براى تكيه دادن در دست گيرند .

فى باب الحَمالة واكّدشأن المحالفة و حقّق حرمة المجاورة ، و خطبهم على رواحلهم فى المواسم العظام و المجامع الكبار ، والتماسح بالأكُف والتحالف على النار والتعاقد على الملْح وأخذ العهد المؤكّد واليمين الغَموس[1] مثل قولهم : ماسرىٰ نجم . وهبّت ريح ، وبلّ بحرٌ صوفة ، وخالف جِرَّةٌ دِرَّه[2]

وفى حديث النبىّ صلى الله عليه وسلّم انّه جاء البقيع و معه مِخصَره فجلس فكنت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال « مامن نفس منفوسة الاّ وقد كُتِب مكانُها فى الجنة أوالنار » وهو من حديث أبى عبدالرحمن السُلّمى. ومما يدّ لك على استحسانهم شأن المِحْضَرة حديث عبدالله بن اُبيس ذى المِخْصَرة و هو صاحب ليلة الجُهَنىّ ، وكان النبى صلى الله عليه و سلّم اعطاه مِحْضَرة فقال . « تلقانى بها فى الجنّة » وهو عَقَبىّ انصارىّ ، وهو ذوالمِحْضَرة فى الجنة

مطاعن الشعوبيّة على العرب بشأن العصا

قالت الشعوبيّه و من يتعصّب للعجمية : القضيب للايقاع و القناة للقاره[3] والعصا للقتال والقوس للرمى ، وليس بين الكلام و بين العصا سبب ولا بينه و بين القوس نسب ، و هما أن يشغلا العقل و يصرفا الخواطر و يعترضا الذهن أشبه ، وليس فى حملهما ما يشحذ الذهن ولا فى الاشارة بهما ما يجلب اللفظ ، وقد زعم اصحاب الغناء أنّ المغنّى اذا ضرب على غنائه قصّر

---

١ — سوگند كه صاحب خودرا در گناه فرو برد - و غموس بمعنى سخت و دشوار نيز هست

٢ — جِرّةَ - كشيدن ببالا ودِرَّة — پائين بردن - و منظور اينست تاجِرّه و دِرَّه در بالا آمدن و پائين رفتن مخالف هم هستند

٣ — روز جنگ

عن المغنّى الذى لا يضرب على غنائهٔ ، و حمل العصا باخلاق الفدّادين [1] اشبه و هو بجفاة الاعراب و اهل البدو و مزاولة اقامة الابل على الطرق أشكل و به اشبه .

قالوا : والخطابة شئ فى جميع الامم ، وبكلّ الاجيال اليه اعظم الحاجة، حتى أنّ الزنج — مع الغثارة [2] و مع فرط الغباوة و مع كلال الحدّ و غلظ الحسّ و فساد المزاج — لتطيل الخُطَب و تفوق فى ذلك جميع العجم، و ان كانت معانيها اجفى و اغلظ والفاظها اخطأ و اجهل ، و قد علمنا أنّ أخطب الناس الفرسُ ، و أخطب الفرس أهلُ فارس ، و اعذبهم كلاماً و أسلهم مخرجاً و أحسنهم ولاءً وأشدهم فيه تحنّكا أهل مروٍ ، وأفصحهم بالفارسية الدَرِيّة واللغة الفهلوية أهلُ قصبة الأهواز .

قالوا : ومن أحبّ ان يبلغ فى صناعة البلاغة ويعرف الغريب و يتبحّر فى اللغة فليقرأ « كتاب كاروند » و من احتاج الى العقل والأدب و العلم بالمراتب والعِبَر والمُثُلات والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينظر الى سير الملوك .

فهذه الفرس ورسائلها و خطبها و معانيها ، و هذه اليونان و رسائلها و خطبها و عللها وحِكَمها ، وهذه كتبها فى المنطق التى جعلتها الحكماء بها تعرف السّقيم فى الصحة والخطأ من الصواب ، وهذه الكتب الهند فى حِكَمها و اسرارها و سيرها وعللها ، فمَن قرأ هذه كتب عرف غور تلك العقول و غرائب تلك الحكم و عرف اين البيان و البلاغة و أين تكاملت

---

١ — مردمان درشت ـ چوپانها وكلّه دارها ٢ — تيركى — سياهى بسرخى آميخه .

تلك الصناعة فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعانى ونخيّر الألفاظ و تميز الامور أن يُشيروا بالقنا والعُصّي والمُضبان والقسيّ ؟ كلاّ ولكنّكم كنتم رعاه بين الابل والغنم فحملتم القنا فى الحَضر بفضل عادتكم لحملها فى السفر ، و حملتموها فى المَدر بفضل عادتكم لحملها فى الوَبرَ و حملتموها فى التّلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب ، و لطول اعتياد كم لمخاطبة الابل جفا كلامكم وغلظت مخارج اصواتكم حتى كأنكم انما تخاطبون الصمّان اذا كلّمتم الجلساء .

مطاعن الشعوب على العرب بشأن آلات الحرب

قالوا : وكانت رماحكم من مُرّان و أسنّتكم من قرون البقر ، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء ، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أَدَم ولم يكن ذا ركاب ، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه ، وربّما قام فيهما او اعتمد عليهما ، وكان فارسكم يطعن بالقنات الصمّاء ، وقد علمنا ان الجوفاء أخفّ حملاً واشدّ طعنة ، وتفخرون بطول القنات ولا تعرفون الطعن بالمطارد وانما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش ، و تفخرون بطول الرمح و قِصَر السيف ، فلو كان المفتخر بقصر السيف للراجل دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف ، و ان كان الطول فى الرمح انّما صار صواباً لأنه ينال به البعيد ولا يفوته العَدوّ ولأن ذلك يدل على شدة أسر الفارس وقوّة أيده ، فكذلك السيف العريض الطويل . و كنتم تتخذون للقناة زجّاً [1] وسناناً حين لم يقبض الفارس منكم على اصل قناته و يعتمد عند طعنته بفخذه و يستعين بحميّة فرسه ، وكان أحدكم يقبض على وسط القناة و يخلّف منها على مثل ما قدّم ، فانّما

١ — بن نيزه

طعنكم الدَّرْهُ [١] والنهزة والخلس والزَّجّ ، وكنتم تتساندون فى الحرب وقد عُلم أن الشركة رديّة فى ثلاث أشياء : فى الملك والحرب والزوجة ، و كنتم لا تقاتلون فى الليل ولا تعرفون البيات ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب والجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفيضة [٢] ولا الدرّاجة ولا تعرفون آلة الحرب : الر تيلة ولا العرّادة ولا المجانيق ولا الدّباب [٣] ولا الخنادق ولا الحسك ، ولا تعرفون الاقبية والسراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود [٤] ولا التجافيف [٥] ولا الجواشن ولا الخوذ ولا السواعد [٦] ولا الاجراس ولا الوهق [٧] ولا الرمى بالبنجكان ولا الزرق بالنفط ولا النيران وليس لكم فى الحرب صاحب عَلَم يرجع اليه المُنحاز و يتذكّره المنهزم ، و قتالكم امّا سَلَّة واما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة والسلّة مسارقة وفى طريق الاستلاب والخلسة ، قالوا . والدليل على أنّكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامرىّ :

ياشَدَّة ما شددنا غير كاذبةٍ على سخينة لولا الليل والحَرَم

و يدل على ذلك ايضاً قول الحارث بن ضرار :

و عمرو اذ أتانا مستميتاً كسونا رأسه عَصْباً [٨] صقيلا

فلولا الليل ما آبوا بشخصٍ يُخبِّر اهلهم عنهم فتيلا

---

١ — ناگاه بر آمدن و نمايان شدن ٢ — گشتى - قسمى از سپاه كه به تجسس دشمن رود ٣ — ارّابه جنگى ٤ - پرچمهاى بزرك كه ده هزار نفر زير آن گرد آيد و كلمه فارسى است ٥ — بركستوان ٦ — بازو بند ٧ — كمند ٨ - شمشير

الردّ على الشعوبيّة

قلنا: ليس لكم فيما ذكرتم فى هذه الأشعار دليل على أنّ العرب لا تقاتل بالليل، و قد يقاتل بالليل والنهار من تحولُ دون ماله المدن و هولُ الليل و ربّما تحاجز الفريقان و ان كان كلّ واحدٍ منهما يرى البيات و يرى ان يقاتل اذا بتتوه و هذا كثير، والدليل على أنهّم كانوا يقاتلون فى الليل قول سعدبن مالك فى قتل كعببن مزيقيا الملك الغسّانى:

وليلة تبّع وخميس [1] سعد أتونا بعد ما نمناد بيبا
فلم نهدأ لبأسهم و لكن ركبنا حدّ كوكبهم ركوبا
بضربٍ تُفْلَقَ الهامات منه وطعنٍ يفصل الحَلَق الصليبا

وأمّا قولهم: لا يعرفون الكمين فقد قال ابوقيس بن الأسلت:

وأحرز نا المغانم واستبحنا حمى الأعداء والله المعبّن
بغير خلابةٍ و بغير مكرٍ مجاهرة ولم يُخبأ كمينُ

و اما ذكرهم للرُكُب [2] فقد أجمعوا على أن الرُكُب كانت قديمه، الاّ أنّ رُكُب الحديد لم تكن فى العرب الا ايام الارارفة وكانت العرب لا تُعوّد أنفسها اذا ارادت الركوب ان تضع ارجلها فى الرُكُب، وانّما كانت تنزو نزواً، و قال عمربن الخطاب رضى الله تعالى عنه: لا تخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع. يقول: اى لاتنتكث قوته مادام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غبران يستعين بركاب، و قال عمر: الراحة عُقلة، [3] واتاكم والسّمنه فانها عُقلة، و لهذه العلة قُتل خالدبن سعيد بن العاص حين غشيه العدو و

١ — سياه ٢ — ركاب ٣ — بند

ارد الركوب ولم يجد من يحمله، و لذلك قال عمر حين رأى المهاجرين والانصار لمّا اخصبوا وهمّ كثير منهم بمقاربة عيش العجم : تمعّدوا فانّكم لاتدرون متى تكون الجفلة ،

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج! و لكنّهم كانوا وان اتخذوا الرُكُب فانهم لا يستعملونها الاعند مالا بدّ منه كراهيّة ان يتّكلوا على بعض مايورثهم الاسترخاء ويُضاهون اصحاب الترّفة والنعمة ، قال الاصمعى و قال العمرىّ : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأخذ بيده اليمنى اُذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه [1] و يثب فكانّما خلق على ظهر فرسه ، وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد و هو يومئذ وليعهد هشام ، ثمّ أقبل على مسلمة بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هذا ؟ قال : لأبى مائة عبد يحسنون مثل هذا . فقال الناس لم ينصفه فى الجواب . وزعم رجال من مشيختنا انه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك الاّ وهو جامع لأسباب الفروّسية ،

و اما ما ذكر وافى شأن رماح العرب فليس الامر فى ذلك على ما يتوّهمون ، و للرماح طبقات فمنها « النيزك » و منها « المخموس » ومنها « الّتام » و منها « الخَطِل » و هوالذى يضطرب فى يد صاحبه لافراط طوله ، فاذا اراد الرجل ان يخبر عن شدّة اسر [2] صاحبه ذكره كما ذكر متمم بن نويره اخاه مالكاً فقال : يخرج فى الليلة صَنّبرة [3] عليه الشّملة الفَلُوت [4]

---

١ — اطراف و اعضاى بدن ـ دست و پا ٢ — نيرو ـ بمعنى رسن ودوال نيز آمده است ٣ — شب بسيار سرد ـ باكسر نون نيز صحيح است ٤ ـ شَمْلَه پارچه چادر مانندى كه بخود پيچند والشَمْلة الفوت چادرى است كه از تنكى دوطرفش بهم نرسد و بر بدن پيچيده نشود

بين المزادتين [١] النضو حتين [٢] على الجمل الثَّقَال [٣] معتقل الرمح الخَطِل.
قالوا له : وأبيك ان هذالهو الجَلْدَ .

ولا يحمل الرمح الخَطِل منهم الاّ الشديدالأيدّ ، والمدلّ بفضل قوته عليه ، الذى اذا رآه الفارس فى تلك الهيئة ها به وحاد [٤] عنه ، فان شدّعليه كان اشدّ لاستخدامه له واّما ما ذكروا من اتخاذالزّج لسافلة الرمح والسنان لعاليته ، فقد ذكروا رجلاً قتل اخوين فى نقاب ، احدَهما بعالية الرمح وآلاخر بسافلته ، و قدم فى ذلك راكب من قِبَل بنى مروان على قَتادة بستثبت الخبر فاثبته له من قِبَله . و قال الآخر :

انّ لقسى عادة تقتادها سلّ السيوف وخطىً تزدادُها

وقد وصفوا السيوف ايضاً بالطوال فقال عمارة بن عقيل :

بكل طويل السيف ذى خَيزُرانة جرىءٍ على الأعداء معتمدالشطب [٥]

خطباء الناس من العرب و الفرس

و جملة القول انّا لانعرف الخُطَب الا للعرب والفرس ، واّما الهند فانما لهم معانٍ مدّونة و كتب مجلّدة لا تضاف الى رجل معروف ولاعالم موصوف واّنما هى كتبٌ متوارثة ، و آدابٌ على وجه الدهر سائرة مذكورة :

واليونان فلسفة و صناعة منطق ، و كان صاحب المنطق نفسه بكىء اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام و معانيه و بخصائصه ، و هم يزعمون أن جالينوس كان انطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة و لا

---

١ — توشه دان - يا آبدان ٢ — تراونده ٣ - شتر كند رو .
٤ — بر كنار شد از او ٥ — شمشير و سَطْبَة - عبارت ازخطهاى روى شمشير است .

بهذا الجنس من البلاغة .

وفى الفرس خطباء الاّ أن كلّ كلام للفرس وكلّ معنىً للعجم فانّما هو عن طول فكره وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكّر و دراسة الكتب و حكاية الثانى علم الاوّل و زيادة الثالث فى علم الثانى حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم .

وكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة ولا استعانة ، و انّما هو ان يصرف و همه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين ان يمسح على رأس بئر اويحد و ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع او فى حرب ، فما هو الاّ ان يصرف وهمه الى جملة المذهب و الى العمود الذى اليه يقصد فتأتيه المعانى ارسالاً و تنثال عليه الألفاظ انثيا لأثم لا تقيّد . على نفسه ولا يدرسه احد من ولده وكانوا أمّيّين لا يكتبون ومطبوعين لايتكلّفون و كان الكلام الجيّد عندهم اظهر واكثر ، و هم عليه اقدر و اقهر ، وكل واحد فى نفسه أنطق و مكانه من البيان ارفع ، وخطبائهم اوجر والكلام عليهم ابسهل و هو عليهم أيسر من ان يفتقروا الى تحفّظ او يحتاجوا الى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم و اتصّل بعقولهم من غير تكلّف ولا قصد ولا تحفظ ولاطلب ، و أنّ شيئاً الذى فى ايدينا لبا لمقدار الذى لا يعلمه الاّ من احاط بقطر السحاب و عدّ التراب وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

ونحن ابقاك الله اذا ادّعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد والارجاز. و من المنثور و الاسجاع ، و من المزدوج و مالا يزدوج ، فمعنا العلم على أنّ ذلك لهم شاهد صادق من الديباجه الكريمة والرونق العجيب والسبك و النحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا ارفعهم فى البيان ان يقول فى مثل دلك الاّ فى اليسير والنبذ القليل ،

و نحن لا نستطيع ان نعلم أنّ الرسائل التى فى ايدى الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير موّلدة اذا كان مثل ابن المقفّع و سهل بن هرون و أبى عبدالله و عبد الحميد و غيلان و فلان و فلان يستطيعون أن يولِّد و امثل تلك الرسائل و يصنعوا مثل تلك السِّرَ.

و اخرى ، انك متى اخذت بيد الشعو بى و ادخلتــه بلاد الاعراب الخُلّص ومعدن الفصاحة التامّة ووقفته على شاعر مفلق أو خطيب مِصقَع[1] علم أنّ الذى قلت هوالحق و ابصر الشاعر عياناً ، فهذا فرق ما بيننا و بينهم ،

أخذ العصا عند الخطابة

والدليل على أخذ العصا مأخوذ من اصل كريم ومن معدن شريف و من المواضع التى لا يعيبها الاّ جاهل ولا يعترض عليها الاّ معاند ، اتّخاذ سليمان بن داود عليه السّلام العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته و لطول التلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة .

قال ابو عثمان : [2] و انّما بدأنا بذكر سليمان عليه السلام لأنّه مر انبياء العجم والشعوبيّه اليهم اميل و على فضائلهم احرص ، و لِما اعطاهم

---

١ — فصيح و بليغ و بلند آوازه ٢ — كينهٔ جاحظ است

الله اكثر وصفاً وذكراً و قد جمع الله لموسى بن عمران فى عصاه من البرهانات والعلامات الجسام ما عسى ان يفى ذلك بعلامات عدة من المرسلين و جماعة من النبيّين .

فلذلك قال حسن بن هانىء فى شأن خصيب و اهل مصر حين اضطربوا عليه :

فان تكُ من فرعون فيكم بقيَّةٌ فانّ عصا موسى بكفّ خصيب

الم تَرَ انّ السحرة لم يتكلّفوا تغليط الناس والتمويه عليهم الا بالعصا ، ولا عارضهم موسى الاّ بعصاه ؟

الا ترى انهم لمّا سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصىّ والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى اعطاء البرهان ما جعل للعصا ؟ و قدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

و ممّا يدخل فى باب الانتفاع بالعصا أنّ عامر بن الظَّرِب العَدوانى حكم العرب فى الجاهلّية ولمّا أَسنّ و اعتراه النسيان أمر بنته ان تقرع بالعصا اذا هوفَّ [1] عن الحكم وجار [2] عن القصد ، و كانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك المقدار صُحر بنت لقمان و هند بنت الخُس و خُمَعَة بنت حابس بن مليل الايادّيين ، وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، و لذلك قال الحارث بن وَعلة .

و زعمتمُ ان لا حُلوم لنا انّ العصا قُرِعت لذى حِلْمِ

---

١ — درماند ٢ — منحرف شد .

و قال المتلمّس :

لذى الحِلْم قبل اليوم ماتُقْرَعُ العصا و ما عُلِّم الانسانُ الاّ ليعلما

و قال الفرزدق بن غالب :

وان كان أنسانى حُلُوم مُجاشِع فانّ العصا كانت لذى الحلم تُقرع

و من ذلك حديث سعدبن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، حين اعتزم الملك على قتل أخيه ان هولم يصب ضميره ، فقال له سعد ، ابيت اللعن ، أتَدَعُنى حتى أقرع بهذه العصا اختها ؟ فقال الملك : و ما علمه بما تقول العصا ؟ فقرع بها واشاربها مرّة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره و نجا منَ القتل .

علامة الانصراف عند بعض الملوك

حدّثنى بعض اصحابنا قال : كنّا منقطعين الى رجل من كبار اهل العسكر وكان لُبثنا عنده يطول فقال بعضنا : ان رأيت ان تجعل لنا امارة اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نُتعِبك بالقعود فقد قال اصحاب معاوية امعاوية مثل الذى قلنا لك ، فقال : امارة ذلك أن أقول : اذا شئتم . و قيل ليزيد مثل ذلك . فقال : اذا قلت : على بركة الله ، و قيل لعبد الملك مثل ذلك ، فقال : اذا القيت الخيزرانة من يدى .

قالوا : أىّ شىء تجعل لنا اصلحك الله ؟ قال : اذا قلت ياغلام الغداء .

حكاية الفتى التغلبى والعصا

قال الشرقى : خرجت من الموصل و انا أريد الرّقة مستخفياً و أنا شاب خفيف الحال ، فصحبنى من أهل الجزيرة فتىً ما رأيت بعده مثله ،

فذكر أنّه تغلبيّ من ولد عمرو بن كلثوم ، و معه مزود [١] و ركوة [٢] وعصاً ، فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمى بها في بعض الأودية ، فكنّا نمشي فاذا اصبنا دوابّ ركبناها ، واذا لم نصب الدواب مشينا . فقلت له من شأن عصاه ، فقال لي : انّ موسى بن عمران عليه السلام حين آنس من جانب الطور ناراً و اراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الاّ و معه عصاه . فلما صار بالوادي المقدّس من البقعة المباركة قيل له . ألقِ عصاك واخلع نعليك ، فرمى نعليه راغباً عنها حين نزّه الله ذلك الموضع من الجلد غير الذكيّ وجعل الله جماع امره من اعاجيبه وبرهاناته في عصاه ، ثمّ كلّمه من جوف شجرة ولم يكلّمه من جوف انسان ولا جان .

قال الشرقي : انّه ليُكثِر من ذلك واني لاضحك منها وناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلّف المكاري ، فكان حماره يمشي فاذا تلكّأ اكرهه بالعصا فسبقني الفتى الى المنزل فاستراح واراح ، ولم اقدر على البراح حتى و افاني المكاري ، فقلت : هذه واحدة ، فلمّا اردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه فكنّا نمشي فاذا أعيا توكّأ على العصا و ربّما اخصر و وضع العصا على وجه الارض واعتمد عليها ومرّ كأنّه سهم وألحّ حتى انتهينا الى المنزل و قد تفسّختُ من الكلال و اذا فيه فضل كبير ، فقلت : هذه ثانية . فلمّا كان في اليوم الثالث : و نحن نمشي في ارض ذات اخاقيق [٣] و صدوع ، اذ هجمنا على حيّة منكرة فساورتنا ، [٤] فلم تكن عندي حيلة الاّ خذلانه واسلامه اليها و الهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلما بهشت [٥] له و رفعت صدرها ضربها حتى وَقَذَها [٦] ثمّ ضربها حتى قتلها . فقلت :

١ — توشه دان ٢ — مشك آب ٣ — مفردش خَقّ و خُقّ است و بمعنى شكافهاى زمين است ٤ — حمله آورد برما ٥ — قصد او كرد ٦ — برزمين زدن و چيره شدن و سست كردن .

هذه ثالثة ، و هى اعظمهنّ . فلما خرجنا فى اليوم الرابع قَرِمت [١] والله الى اللحم وانا هارب مُعدم ، اذا أرنب قد اعترضت فقذفها فما شعرت والله الا وهى معلّقة ، و ادركنا ذكاتها ، فقلت : هذه رابعة ، و أقبلت عليه فقلت له : لو أنّ عندنا ناراً لما اخرت أكلها الى المنزل ، قال فانّ عندنا ناراً . فاخرج عويداً من مزوده ثم حكّه بالعصا فأورت ايراءاً المرخ [٢] والعَفارْ [٣] عنده لاشيء . ثمّ جمع ما قدر عليه من الغثاء و الحشيش و اوقد ناره و القى الأرنب فى جوفها ، فاخرجناها وقدازق بها من الرمادو التراب ما نغّصها الىّ ، فعلّقها بيده اليسرى ثمّ ضرب بالعصا جنوبها و أعراضها ضرباً رقيقاً حتى انتشر كل شيء عليها فأكلناها و سكن القَرَم وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة ، ثمّ انّا نزلنا ببعض الخانات و اذا البيوت ملاى رَوثاً و تراباً و نزلنا بعقب جند وخراب متقدّم فلم نجد موضعاً نظلّ فيه ، فنظر الى حديدة مسحاة مطروحة فى الدار فاخذها فجعل العصا نصاباً [٤] لهائم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرّد الارض بها جرداً حتى ظهر بياضها و طابت ريحها ، فقلت : هذه سادسة . و على أىّ حال لم تطب نفسى ان اضع طعامى و ثيابى على تلك الارض فنزع والله العصا من حديدة المسحاه فوتدها فى الحائط وعلّق ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة ، فلما صرت الى مفترق الطريق واردت مفارقته قال لى : لو عدلت معى فبتّ عندى كنتَ قد قضيتَ حق الصحبة ، والمنزلُ مريبٌ ، فعدلت معه ، فادخلنى فى منزل بتصل ببيعة ، فما زال يحدثنى و يُطرفنى و يُلطفنى الليل كلّه ، فلما كان السحر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله ، و اذا هو احذق الناس بضربه فقلت له : و يلك أما انت مسلم ؟ وأنت

---

١ — بى اندازه ميل بگوشت كردم مصدرش قَرَم است ٢ - جوب آتش زنه . ٣ — درختى است كه از آن آتش گيرند . ٤ - دسته

رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم ؟ قال . بلى ، قلت فَلِمَ تضرب بالناقوس ؟ قال ، جعلت فداك انّ ابى نصرانىّ وهو صاحب البيعة و هو شيخ ضعيف ، فاذا شَهدتُهُ سرَرْتُه بالكفاية .

واذا هو شيطان مارد ، واذا هو أظرف النّاس كلّهم و ا كثرهم أدباً و طلباً . فخبّرته بالذى احصيته من خصال العصا بعد ان كنت هممت ان ارمى بها . فقال : والله لوحدّثتك من مناقب نفع العصا الى الصبح لما استنفذتها .

شىءٌ من سياسة بنى العباس

كان المنصور داهياً اريباً مصيباً فى رأيه سديداً ، وكان مقدّماً فى علم الكلام و مكثراً من كتاب الآثار و لكلامه كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين معروف عندهم ، و لمّا همّ بقتل ابى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فأرق فى ذلك ليلته فلمّا اصبح دعا باسحق بن مسلم العُقيلى فقال له : حدّثنى حديث الملك الذى اخبرتنى عنه بحرّان . قال : اخبرنى أبى عن الحصين بن المنذر انّ ملكاً من ملوك فارس يقال له سابور الأكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك وشاب[1] ذلك بفهم فى الدين فوجّهه سابور داعيةً الى خراسان و كانوا قوماً عجماً يُعظّمون الدنيا جهالة بالدين و يخُلّون بالدين استكانة لقوت الدنيا و ذلاً لجبابرتها ، فجمعهم على دعوة من الهوى تكيد به مطالب الدنيا واغترّ بقتل ملوكهم و تخوّله[2] ايّاهم ، وكان يقال : لكلّ ضعيف صولة و لكلّ ذليل دولة ، فلمّا تلاحمت اعضاء الامور التى لقح ، استحالت حرباً عواناً شالت اسافلها بأعاليها فانتقل العزّ الى ارذلهم و البناهة الى اخملهم فاشر بواله حبّاً مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة الدين ، فلما استو ثقت له البلاد بلغ سابور

---

١ — مخلوط نمود ٢ — بنده گردانيدن .

مرهم و ماحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمن زوال القلوب وغَدَرات الوزراء احتال فى قطع رجائه من قلوبهم وكان يقال :

و ما قُطع الرجاءُ بمثل يأسٍ تُبادِهه القلوب على اغترار

فصمّم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم قتله فبغتهم بِحَدث ، فلم يرُعهم إلاّ و رأسه بين ايديهم فوقف بهم بين لغُربة و نأى الرجعة و تخطُّف الأعداء و تفرّق الجماعة واليأس من صاحبهم . فرأوا أن يستتمّوا الدعوة لطاعة سابور و يتعوّضوه من الفرقة باذعنوا له بالملك والطاعة و تبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف أنفه .

فأطرق المنصور مليّاً ثمّ رفع رأسه و هو يقول :

ذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا و ما عُلّمَ الانسان الاّ ليعلما

وامر اسحق بالخروج و دعا بابى مسلم فلمّا نظر اليه داخلاً قال :

قد اكتنفتك خلاّت ثلاث جلبن عليك محذور الحِمام

خلافُك و امتنانك ترتمينى وقودك للجما هير العظام

ثمّ وثب اليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف فلمّا رآهم وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوّحه[1] منها ثمّ قال :

اشرب بكأس كنت تسقى بها امرّ فى الحلق من العقلم

زعمت أنّ الدين لا يقتضى كذبت فاستوفِ أبا مجرِم[2]

ثمّ امر فَحُزّ[3] رأسه و بعث به الى اهل خراسان وهم ببابه فجالوا جولة ساعة ثمّ ردوا عن ذلك وشغلهم انقطاعهم عن بلادهم واحاطة الاعداء بهم ،

---

١ — اورا بزمين انداخت ـ هلاك ساخت ٢ — كنية ابومسلم خراسانى بود ٣ — حَزّ بريدن

فذلّوا و سلّموا له ، فكان اسحق اذا رأى المنصور قال :

و ما ضربوا لك الامثال الاّ لتحذو ان حذوت على مثالِ

وكان المنصور اذا رآه قال .

وخلّفها سابور للناس يُقتدى بأمثالها فى المعضلات العظائم

سياسة المنصور فى العفو عن المسيء

لمّا احتال ابوالازهر المهلب لعبد الحميدبن ربعى بن خالد بن مغداق واسلمه الى حميد بن قحطبة و اسلمه حميد الى المنصور : قال : لاعذر فأعتذرْ و قد احاط بى الذنب و انت اولى بما ترى ، قال : لست اقتل احداً من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم و عادرَهم لِوفيّهم ، قال : ان لم يكن فىّ مصطنع فلاحاجة لى فى الحياة ولست ارضى ان اكون طليقُ شفيع و عتيقُ ابن عمّ قال اسكت مقبوحاً مشقوحاً[1] اخرج فانك أنوك[2] جاهل انت عتيقهم و طليقهم ماحييت .

ولمّا دخل سفيان بن معاوية بن يزيد المهلّب فى شأن ابراهيم بن عبدالله وصار الى المنصور امر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ثمّ قال : قل لهم يقول لكم امير المؤمنين : قد عرفتم ماكان احسانى اليه وحسن بلائى عنده و قديم نعمتى عليه والذى حاول من الفتنه و رام من البغى و اراد من شقّ العصا و معاونة الأعداء و اراقة الدماء و انّه قد استحّق بهذا من فعله أليم العقاب و عظيم العذاب ، و قد رأى امير المؤمنين اتمام بلائه الجميل لديه وربّ نعمائه السابقة عنده لما يتعرّفه امير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمّله من الخير

---

١ — زشت ٢ — احمق

العاجل والآجل عند العفو عمّن ظلم والصفح عمّن اساء ، وقد وهب امير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم و غادرهم لِوَفيّهم .

المنصور وابن هرمة

لمّا مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور ، امر له بألفى درهم ، فاستقلّها و بلغ ذلك أبا جعفر فقال : اما يرضى أنى حقنت دمه و قد استوجب اراقته ووّفرت ماله وقد استحقّ تلفه واقررته وقد استأهل الطرد وقرّبته و قد استحقّ البعد . أليس هوالقائل فى بنى امّه ؟ :

اذا قيل من عند زبن الرما ... ن لمعترّ فهرٍ ومحتاجها ؟

ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها ؟

اشارت نساء بنى مالك ... اليك به قبل ازواجها

قال ابن هرمة : فانى قد قلت فبك احسن من هذا ، قال : هاته ! قال قلت :

اذا قلتُ : اى فتىً تعلم ... ون اهشّ الى الطعن بالذابل ؟

و أضرب للقرن يوم الوغى ... واطعم فى الزمن الماحل ؟

اشارت اليك أكفّ الورى ... اشارة غرقى الى ساحل

قال المنصور : امّا هذا الشعر فمسترق ، و امّا نحن فلا نكافىء الا بالتى هى أحسن .

رجع بنا الكلام الى السمات

و قال الله تبارك و تعالى : « سيماهم فى وجوههم من اثر السجود » وقد خالفوا بين الأسماء للتعارف ، و قال عزّ وجلّ : « و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

فعند العرب العِمّة [1] واخذ المِخْصَرة من السيما ، وقد لا يلبس الخطيب

---

١ — عمامه بستن

الملحفة ولاالجبّة ولا القميص ولاالرداء ، والذى لابد منه العمّةوالمِخْصَرة ،
و ربما قام فيهم و عليه ازاره قد خالف بين طرفيه و ربما قام فبهم و عليه
عمامة و فى يده مِخْصَرته و ربما كان قضيباً و ربما كانت العصا و ربما كانت
قناةً ، و فى القنا ما هو اغلظ من الساق وفيهاما هوا دقّ من الخنصر ، وقد
تكون محكّكة الكعوب مثقّفة من الاعوجاج قليلة الأُبَنْ [١] و ربما كان
العود نبعاً و ربما كان شوحطاً [٢] و ربما كان من ابنوس و من غرائب
الخشب و من كرائم العيدان ومن تلك الملس المصقّاة وربما كانت لبّ غصن
كريم ، فان للعيدان جوهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت فى خزائن
الخلفاء والملوك و منها مالا تقربه الاَرَضَة [٣] ولا تؤثر فيه القوادح ،
والعكاز اذا لم يكن فى اسفله زجّ فهو عصا ، لان اطول القنا ان يقال :
رمح خَطِّى ثم رمح نائرثمّ رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطرد ،
ثم عكارثم عصا ، ثم من العصى نُصُب المساحى [٤] والمرور [٥] والقُدُوم [٦] والفؤوس
والمعاول والمناجل [٧] والطبر زينات ثم تكون مع ذلك نصب السكاكين
والسيوف و كل سهام نبعية و غير ذلك من العيدان التى امتدحها اوس بن
حجر والشماخ بن ضرار واحدٌ من الشعراء ، فانّما هى من كل عصا ، و
كل قوس بندق فانّما جيء بقناتها من بَرْوَس [٨] و مدح بربها و صنعتها
عصفور القواس . و قال الرقاشى :

انعتُ قوساً نعت ذى انتفاء ... جاء بها جالب بَرَوَضاء
عند اعتيام [٩] منه و انتضاء ... كافية الطول على انتهاء

---

١ — گره ٢ — درخت كوهى ٣ — كرمك چوبخوار
٤ — بيلها ٥ — مفردش مَرّ است و ايهم بكنوع بيلى است
٦ — مفردش قَدُوم است و بمعنى تيشه مباشد ٧ — مفردش مِنْجَل
است كه داس باشد ٨ — نام محلى است ٩ — بر گزيدن

مجلوزة [١] الا كعب فى استواء سالمة من أُبَن السيساء [٢]
فلم تنزل مساحل [٣] البَرّاء تأخذ من طوايف اللحاء
حتى بدت كالحية الصفراء ترنو الى الطائر فى السماء
بمقلة سريعة الا قذاء ليست بكحلاء ولا زرقاء

و قال آخر :

قد اغتدى مَلْكُ [٤] الظلام بفتية للرمى قد حسروا له عن اذرع
متنكّبين خرائطاً لبنادق من بين مصفور و بين مرّسع [٥]
با كفهّم قضبان بَرْوَنَ قد غدوا للطير قبل نهوضها للمرتع
تقذى مَنتّات الطيور عيونها يوماً اذا رمدت بايدّى النزّع
صفر البطون كأنّ لَيطَ [٦] بطونها سَرَقُ [٧] الحرير نواضر [٨] لم تشبع

و كانت العَنَزَة التى تحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلّم و ربما جعلوها قبلة ـ اشهر و اذكر من ان يحتاج فى تثبيتها الى ذكر الاسناد ، و كانت سيماء اهل الحرم اذا خرجوا من الحرم الى الحلّ فى غير الاشهر الحرم ان يتقلّدوا القلائد ، و يعلّقوا عليهم العلائق ، و اذا أَوْذَمَ [٩] احدهم الحج تزبّا بزىّ الحاج و اذا ساق بدنة اشعرها و خالفوا بين سمات الابل والغنم ، واعلموا البَحيرة [١٠] بغير عَلَم السائبة [١١] وأَعْلَموا

---

١ — پيچيده ـ حلقهٔ گرد از آهن كه در اسفل نيزه و يا قبضهٔ تازيانه باشد ٢ — گره هائى كه بر اثر پيوند در شاخه حاصل شود — جاى پيوند ٣ — نيشه و سوهان ـ زبان ٤ — اول تاريكى
٥ — دردمند ٦ — رنك ٧ ـ شقهاى حرير سفيد
٨ — نيكو و تازه و شاداب ـ و نضر بمعنى زر و سيم است
٩ — حج را برخود واجب كرد ١٠ — شتريا گوسفندى كه پس از زادن ده شكم گوش آنرا شكافته وآزاد ميكردند ١١ — شتريكه چند شكم بزايد و بعد آنرا سرخود گذارده و كسى سوارش نشود

الحامی [١] بغیر عَلَم الفحول، و کذلك الفَرَع [٢] و الرجیبه و الوصیلة [٣] والعتیرة [٤] من الغنم، و کذلك سائر الاغنام السائمة، و اذا کانت الابل من حِباء [٥] ملك غرزوا [٦] فی اسنمتها الریش والخرق، ولذلك قال الشاعر:

یهب الهجان ریشها و رعائها کالسلیل قبل صباحه المتبلّج

و اذا بلغت الابل الفاً فقئوا [٧] عین الفحل، فان زادت فقئوا العین الاخری. فذلك « المفقأ » و « المعمی » و قال شاعرهم:

وهب لنا و انت ذو امتنان تفقأ فیها اعین البعران

و قال الآخر:

فکان شکر القوم عند المنن کیّ الصحیحات وفقء الاعین

و اذا کان الفحل من الابل کریما قالوا « فحیل » واذا کان الفحل من النخل کریما قالوا « فحال » و قال الراعی:

کانت نجائب منذر و محرّق اُمّا تُهُنَّ و طُرقهن فحیلا

العمائم یتجان العرب

وکان الکاهن لا یلبس المصبّغ، و العرّاف لا یدع تذییل قمیصه و وسحب ردائه، والحَکَم لا یفارق الوبر، وکان لحرائر النساء زیّ ولکل مملوك

١ — شتر بر نَه ده شکم از آن گرفته باشند و پس از آن او را آزاد کنند و سوارش نشوند و پشم اورا نبرند ٢ — اولین بچهٔ شتر یا گوسفند که برای خدایان میکشتند

٣ — شتر ماده که ده شکم بی هم بزاید و یا گوسفندی که هفت شکم بزاید که جفت وماده باشند ٤ — گوسفند قربانی جاهلیت که درماه رجب برای بتها میکشتند ٥ — دهش ـ بخشش ٦ — غَرْز نشاندن ٧ — کور کردند ـ بر کندند

زيّ، ولذوات الرايات زيّ وكان الزبر قان يصبغ عمامته بصفرة ، و ذكره الشاعر فقال :

و اشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون سِبَّ [1] الزبرقان المعصفرا

وكان ابو احيحة سعيد بن العاص اذااعتمّ لم يعتمّ معه احد ، هكذا فى الشعر ، و لعل ذلك ان يكون مقصورا فى بنى عبد شمس ، وقال ابوقيس بن الاسلت :

و كان ابواحيحه قد علمتم بمكة غير مهتضم ذميم
اذا شدّ العصابة دات يوم و قام الى المجالس والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مدّخل سقيم
و كان البخترى غداة جمع يدافعهم بلقمان الحكيم
بازهر من سراة بنى لُوىّ كبدر الليل راق على النجوم
هوالبيت الذى بُنيت عليه قريشُ السرّ فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعن منهم فأنت لباب سرّهم الصميم

و قال عيلان بن خرشة الاحنف : يا ابابحر ، ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : اذا تقلّدوا السيوف وشدّوا العمائم واستجادوا النعال و لم تأخذهم حمّية الاوغاد ! قال : و ما حمّية الاوغاد ؟ قال . ان يمدّوا النواهب ذلاً و قال الاحنف : استجيدوا النعال فانها خلاخل الرجال . والعرب تسمى السيوف بحمائلها « اردية » و قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قولاً احسن من هذا قال : تمام جمال المرأة فى خفها و تمام جمال الرجل فى لِمَّته [2] . ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر :

أأعقِرُ من جرّا كريمة ناقتى ووصلى مفروش لوصل مُنازل ؟

---

١ — جامهٔ کتان تنگ بفتح اول نیز آمده است و بمعنی دشنام است
٢ — موئی که تازیر نرمهٔ گوش آید

اذاجاء قعقعن[1] الحُلّی ولم اکن اذاجئت ارضی صوت تلك الخلاخل

والعصابة و العمامة سواء ، و اذا قالوا : سید معمم . فانما یریدون انّ کلّ جنایة یجنیها الجانی فی تلك العشیرة هی معصوبة برأسه ، و قال درید بن الصمّة :

ابلغ نعیماً و اوفی ان لقیتهما ان لم یکن کان فی سمعیهما صَمَم[2]
فلا یزال شهاب یستضاء به یهدی المقانب[3] مالم تهلك الصُمَم[4]
عاری الاشاجع[5] معصوب بِلِمَّته امر الزعامة فی عرنینه شمم

و قال الکنانی :

تنخّبتها للنسل و هی غریبة فجاءت به کالبدر خرقاً[6] معمما
فلو شاتم الفتیان فی الحیّ ظالماً لما وجد واغیر التکذب مشتما

و لذلك قیل لسعید بن العاص « ذو العصابة » وقد قال خالد بن یزید :

کَعابٌ[7] ابوها ذوالعصابة و ابنه و عثمان ما اکفاؤها بکثیر

و قال عمر بن الخطاب رضی الله تعالی عنه : العمائم تیجان العرب .

وقیل لاعرابّی : انك لتکثر لبس العمامة ! قال : انّ شیئاً فیه السمع والبصر لجدیران یوقی من القُر[8]

وذُکرت العمامةُ عند ابی الاسود الدؤلی فقال : جُنّة فی الحرب و مَکنّة من الحر ، و مدفأة من القُر و وقار فی الندی ، و واقیة من الاحداث

---

۱ — صدا در آوردند — وَقَعْقَعَةْ صدای بهم خوردن سلاح است
۲ — کری ۳ — گرگهای شکاری و مِقنَب بمعنی چنگال شیر و نوشه‌دان صیاد و گلهٔ اسب آمده است ٤ — مردان دلاور و شیران بیشه
٥ — بیخ انگشتان ٦ — جوانمرد و ظریف و بخشنده
۷ — دخنریکه تازه پستان برآورد . ۸ — سرما

و زيادة فى القامة ، و هى تعدّ عادة من عادات العرب . و قال عمر وبن امرء القيس :

يا مال [١] والسيد المعمّم قد ... يبطره بعد رأيه السرف
نحن بما عندنا و انت بما عن ... دك راضٍ و الرأى مختلف

التقنّع من عادات العرب

و كان من عادات فرسان العرب فى المواسم والجموع و فى اسواق العرب كأيام « عكاظ » و « ذى المجاز » وما اشبه ذلك التقنّع ، الاّ ما كان من ابى سليط طربف بن تميم احد بنى عمرو بن جندب فانّه كان لا يتقنّع و لا يبالى ان يثبت عينه جميع فرسان العرب . و كانوا يكرهون ان يُعرفوا ، فلا يكون لفرسان عدّوهم هَمٌّ غير هم . و لما اقبل « حمصيصة الشيبانى » يتأمّل طريفاً ، قال طريف :

أو كلّما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا الىّ عريفهم يتوسّم
فتوسّمونى انّنى انا ذاكم ... شاكٍ سلاحى فى الحوادث معلم [٢]
تحتى الاغرّ وفوق جلدى نثرة [٣] ... زغف [٤] تردّ السيف و هو مثلّم
و لكل بكرىّ الىّ عداوة ... و ابو ربيعة شانئ و محلم

فكان هذا من شأنهم و ربّما مع ذلك اَعْلَمَ الفارس منهم نفسه بسيما ، وكان حمزة يوم بدر مُعْلَماً بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير مُعْلَماً بعمامة صفراء ، و لذلك قال درهم بن زيد :

انّكَ لاقٍ غداً غواة بنى الملـ ... ـكاء فانظر ما انت مزدهفُ [٥]

---

١ ـ مرخم مالك است ٢ — داراى نشانه هستم ـ خودرانشان كرده ام ٣ — زره فراخ كه پوشيدن آن آسان باشد ٤ ـ زرفراخ ٥ — نزديك شدن بمرك — روى برگرداندن ـ برداشتن و برگشتن .

يمشون فى البيض والدروع كما تمشى جمال مصاعب قُطُفُ [١]

فأبدِ سيماك يعرفوك كما يبدون سيماهمُ فتعترف

وكان المقنّع الكندى الشاعر واسمه « محمد بن عمير » كان الدهر مقنّعاً ، والقناع من سيما الرؤساء ، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجّة القاطعة انّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم كان لا يكاد يُرى الاّ مقنّعاً ، و جاء فى الحديث « حتى كان الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان » و كان « المقنّع » الذى خرج بخراسان يدعى الربوبيّه لايدع القناع فى حال من الحالات ، و جهل ادّعاء الربوبيّة من جهة المناسخة فادّعاها من الوجه الذى لايختلف فيه الاحمر والاسود والمؤمن والكافر انّ باطله مكشوف كالنهار لا يعرف فى شىء من الملل والنحل القول بالتناسخ الاّ من هذه الفرقة من الغالية و هذا « المقنّع » كان قصّاراً [٢] من اهل مرو ، وكان اعور ، اَلْكَنْ ، [٣] فما ادرى ايّهما اعجب . أدعواه بأنّه ربّ أو ايمان من آمن به و قاتل دونه ، وكان اسمه عطاء و قال الآخر

اذا المرء اثرى ثم قال لقومه انا السيّد المفضى اليه المعمّم

ولم يعطهم شيئاً ابوا ان يسودهم وهان عليهم زعمه و هو الوم

قالوا . و كان « مصعب بن الزبير » يعتّم العَمْداء و هو ان يعقد العمامة فى القفاء . و كان « محمد بن سعد بن ابى وقاص » الذى قتله الحجاج يعتمّ الميلاء ،

من مواعظ الحسن البصرى

و قال الحسن : يا ابن آدم ، بِعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً و

---

١ — آ هسته گام برميدارند و در راه رفتن فاصلهٔ ميان پاهايشان كم است ٢ — كازر ٣ — لُكْنة زبان گرفتگى

لا تبعْ آخرتك بدنياك فتخسر هما جميعاً ، يابن آدم ، اذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه و اذا رأيتهم فى الشرّ فلا تغبطهم فيه ، الثواء [1] ههنا قليل والبقاء هناك طويل ، اُمّتكم آخر الامم وانتم آخر امّتكم ، و قد اسرع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ المعاينه ؟ فكأن قد ، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحالبالها و بقيت الاعمال قلائد فى اعناق بنى آدم ، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ، اما انّه والله لا امّة بعد امّتكم ولا نبىّ بعد نبيّكم ولا كتاب بعد كتابكم انتم تسوقون الناس والساعة يسوقكم وانّما ينتظر بأوّلكم ان يلحقه آخركم ، من رأى محمداً صلى الله عليه و سلّم فقد رآه غادياً و رائحاً ، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رُفِعَ له عَلَمٌ فشمّر اليه ، فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء ، علامَ تعرجون ؟ ، اُتيتم و رب الكعبة ، قد اسرع بخياركم و انتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون ؟ ، ان الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه و سلّم على علم منه اختاره لنفسه ، و بعثه برسالته و انزل عليه كتابه ، و كان صفوته من خلقه و رسوله الى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر اليه اهل الارض ، وآتاه منها قوتاً و بُلغة [2] ثم قال « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » فرغب اقوام عن عيشه و سخطوا ما رضى لهربّه فابعدهم الله و سحقهم ، يا ابن آدم طأ الارض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، و اعلم انك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امّك . رحم الله رجلاً نظر فتفكّر وتفكّر فاعتبر و ابصر فصبر ، فقد ابصر اقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا الى ما فارقوا ، يابن آدم اذكر قوله « و كلّ انسان الزمناه طائرَه فى عنقه

---

۱ — ماندن ـ درنگ کردن ـ توقف نمودن ۲ — طعامی که بقدر کفایت باشد و چیزی از ان باقی نماند .

و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ، خذوا صفاء الدنيا و ذروا كدرها فليس الصفو ما عاد كدراً ولا الكدر ما عاد صفواً ، دعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم ، ظهر الجفاء و قلّت العلماء و عفّت السنّة و شاعت البدعة ، لقد صحبت اقواماً ما كانت صحبتهم الاّ قرّة العين وجلاء الصدور و لقد رأيت اقواماً كانوا لحسناتهم اشفق من ان تُرَدَّ عليهم منكم من سيئاتكم ان تعذّبوا عليها ، وكانوا فيما احل الله لهم من الدنيا ازهد منكم فيما حرّم الله عليكم منها مالى اسمع حسسا ولا أرى انيساً ؟ ذهب الناس و بقى النسناس لو تكاشفتم ما تدافنتم ، تهاديتم الاطباق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب رحم الله امرءاً اهدى الينا مساوينا[1] . اعدّوا الجواب فانكم مسئولون ، المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه اخذه من قِبَل ربّه انّ هذا الحق قد جهد اهله و حال بينهم و بين شهواتهم و ما يصبر عليه الاّ من عرف فضله ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله الا مقيم على سخطه ، يابن آدم . الايمان ليس بالتحلّى ولا بالتمنّى ، ولكنّه ما وُقر فى القلب و صدّقه العمل .

و كان اذا قرأ « الهاكم التكاثر » قال عمّ الهاكم ؟ عن دار الخلود وجنة لاتبيد ، هذا والله فضح القوم وهتك الستر وابدى العوار ، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفاً و تمنع فى حق الله درهماً ، ستعلم يا لُكَع ، [2] الناس ثلاثة : مؤمن و كافر و منافق امّا المؤمن فقد الجمه الخوف و قوّمه ذكر العرض و اما الكافر فقد قمعه السيف و شرّده الخوف فاذعن بالجزية وسمح بالضريبة ، و اما المنافق ففى الحجرات والطرقات يُسِرّون

---

١ — ضد محاسن ٢ — ناكس ـ بنده شهوات

غير ما يعلنون و يضمرون غير ما يظهرون فاعتبروا انكارهم ربهم باعمالهم الخبيثة ، و يلك قتلت وليّه ثم تتمنى عليه جنّته ؟

و كان يقول : رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه . فان وافقه حمد ربّه و سأله الزيادة من فضله ، و ان خالفه اعتب و اناب و راجع من قريب ، رحم الله رجلاً وعظ اخاه واهله فقال : يا اهلي ، صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، اخوانكم اخوانكم ، مساكينكم مساكينكم ، لعلّ الله يرحمكم ، فانّ الله تبارك وتعالى اثنى على عبد من عباده فقال « وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة و كان عند ربّه مرضيّا » يا بن آدم كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارك ؟ و كيف تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس ؟

و كان يقول . لا يستحق احد حقيقة الايمان حتى لايعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه ، فانّه اذا فعل ذلك لم يصلح عيباً الاّ وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له ان يصلحه ، فاذا فعل ذلك شغل بخاصّة نفسه عن عيب غيره وانّك ناظر الى عملك بوزن خيره وشرّه فلاتحقرن شيئاً من الخير وان صغر فانّك اذا رأيته سرّك مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشرّ و ان صغر فانّك اذا رأيته ساءك مكانه .

و كان يقول : رحم الله عبداً كسب طيّباً و انفق قصداً و قدّم فضلاً ، وجهّوا هذه الفضول حيث وجّهها الله وضعوها حيث امر الله ، فانّ من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم و يؤثرون بالفضل . الا انّ هذا الموت قد اضرّ بالدنيا ففضحها فلاوالله ماوجد ذوليّ فرحاً ، فابّا كم وهذه

السُبُل المتفرقة التى جماعها الضلالة و ميعادها النار ادركتُ من صدر هذه الامة قوماً كانوااذا جنّهمُ الليل فقيام على اطرافهم يفترشون خدودهم تجرى دموعهم على خدودهم بناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، اذاعملوا الحسنة سرّتهم وسألوا الله ان يتقبّلهامنهم، واذا عملوا سيئة ساء تهم وسألوا الله ان يغفرهالهم . يابن آدم ، ان كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس ها هناشيء يُغنيك ، و ان كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يابن آدم لا تعمل شيئاً من الحق رياءاَ ولا تتركه حياءاً .

وكان يقول : ان العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم من اهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على اهل الدنيا مالا يقضى اهل الدنيا بدنياهم فيها ، وكان اهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة فى علمهم فاصبح اليوم اهل العلم يبذلون علمهم لاهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب اهل الدنيا بدنياهم عنهم و زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ،

وكان يقول لا اذهب الى من بوارى عنّى غناه ، و يُبدى لى فقره و يغلق دونى بابه و يمنعنى ما عنده ، وادع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه و يدعونى الى ما عنده .

وكان يقول : يابن آدم ،لاغنىً بك عن نصيبك من الدنيا و انت الى نصيبك من الآخرة افقر ، مؤمن مهتم ، و عِلج اغتم ، [1] واعرابى لافقه له ، و منافق مكذب ، ودنياوىٌّ مترف ، نعق بهم ناعق فاتبعوه ، فراش نار، وذباب طمع والذى نفس الحسن بيده ما اصبح فى هذه القرية مؤمن الا اصبح مهموماً رزيناً ،وليس لمؤمن راحة دون لقاءالله . الناس ما داموا فى عافية

---

١ — آنكه عاجز از سخن گفتن باشد .

مستورون . فاذا نزل بهم بلاء صاروا الى حقائقهم ، فصار المؤمن الى ايمانه والمنافق الى نفاقه . ايّ قوم . انّ نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم . فسارعوا الى ربكم فانّه ليس لمؤمن راحة دون الجنّة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، و كانت المحاسبة من همّه .

و قال الحسن فى يوم فطر — و قد رأى الناس و هيآتهم :

انّ الله تبارك و تعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ، فسبق اقوام ففازوا و تخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون اما والله لو كُشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باسائته عن ترجيل[1] شعرِا و تجديد ثوب .

شيء من ادب معاوية و سياسته

اذن معاويةُ للاحنف بن قيس وقد وافى معاويةَ محمدُ بن الاشعث فقدّمه عليه فوجِد من ذلك محمد بن الاشعث و اذن له فدخل فجلس بين معاوية والاحنف فقال معاوية : انّا والله ما اذنا له قبلك الا ليجلس الينا دونك ، و ما رأيت احداً يرفع نفسه فوق قدرها الاّ مِنْ ذلة يجدها و قد فعلت فعل من احسّ من نفسه ذلّاً وَضِعَة ، و انّا كما نملك امور كم نملك تأديبكم ، فاريدوا منا ما نريده منكم فانّه ابقى لكم والاّ قصرناكم كرهاً فكان اشدّ عليكم واعنف بكم .

وقال معاوية لرجل من اهل سبأ : ما كان اجهل قومك حين ملّكوا

---

١ — شانه كردن و صاف نمودن مو .

عليهم امرأة فقال : بل قومك أجهل، قالو احين دعا هم رسول الله صلى الله عليه و سلّم إلى الحقّ واراهم البيّنات « اللّهمّ ان كان هذا هوالحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم » ألا قالوا : اللّهمّ ان كان هذا هوالحقّ من عندك فاهدنا له . ؟

قال : ولما سقطت ثنيّتا معاوية لفّ وجهه بعمامة ثم خرج الى الناس فقال : لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلى وانى لا رجوا ان اكون منهم، ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلى و ما آمن ان اكون منهم ، ولئن سقط عضوان منى لما بقى اكثر ولو اتى على نفسى لما كان لى عليه خيار، تبارك و تعالى ، فرحم الله عبداً دعا بالعافية فوالله لئن كان عتب علىّ بعض خاصتكم لقد كنت حدباً على عامتكم .

و لمّا بلغت معاوية وفاة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية . آجرك الله ابا العباس فى ابى محمد الحسن بن على - ولم يُظهر حزناً - فقال ابن عباس : إنّا لله و انّا اليه راجعون وغلبه البكاء فردّه ثم قال : لايسدّ والله مكانه حفرتك ولايزيد موته فى اجلك، والله لقد اُصبنا بمن هو اعظم منه فقداً فما ضيّعنا الله بعده ، فقال له معاوية : كم كانت سِنّه ؟ قال مولده أشهرُ من ان تتعرف سِنّه ، قال : أحسبه ترك اولاداً صغاراً ؟ قال : كلّنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار الله لأبى محمد ما عنده و قبضه الى رحمته لقد ابقى الله ابا عبدالله و فى مثله الخلف الصالح .

كلام فى مقامات الشعراء فى الجاهلية والاسلام

كان الشاعر ارفع قدراً من الخطيب و هم اليه احوج . لردّه مآثرهم عليهم و تذكيرهم بايّامهم . فلمّا كثر الشعر صار الخطيب اعظم قدراً من

الشاعر ، والذين هجوا فوضعوا مـن قدر من هجوه و مدحوا فرفعوا من من قدر من مدحوه و هجاهم قوم فردوا عليهـم فافحموهم و سكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرّض لهم و سكتوا عمّن هجاهم رغبة بانفسهم عن الردّ عليهم ، وهم فى الاسلام : جرير والفرزدق والاخطل ، وفى الجاهلية : زهير و طرفه والاعشى والنابغة هذا قول ابى عبيدة . و زعم ابو عمر و بن العلاء : ان الشعر فتح بامرىء القيس و ختم بذى الرّمة . و من الشعـراء من يُحكم القريض ولا يُحسن من الرجز شيئاً ، ففى الجاهلّة منهم : زهير والنابغة والاعشى ، و امامن يجمعهما فامرؤ القيس وله شيء من الرجز ، و طرفة وله كمثل ذلك ، ولبيد وقد اكثر ، و من الاسلاميّين من لايقدر على الرجز وهو فى ذلك يُجيد القريض : كالفرزدق و جرير ، ومن يجمعهما كأبى النجم وحميد الارقط والعمّانى وبشار بن برد ، واقل من هؤلاء من يُحكم القصيد والارجاز والخُطَب ، و كان الكميت والبعيث و الطرّماح شعراء ، خطباء وكان البعيث اخطبهم ، و قال يونس ان كان مغلباً فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب . و اذا قالوا . غلب فهو الغالب .

كلام فى تعزية بعض الملوك

قال : ان الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولابدّ ممّا هو كائن ، و قد جاء مالا يُردّ ولا سبيل الى ردّ ماقد فات ، وقد اقام معك ما سيذهب او ستتركه فماالجزع ممّا لا بدمنه ، و ماالطمع فيما لا يُرجى ، وما الحيلة فيما سَيُنقل عنك او تُنقل عنه ؟ و قدمضت اصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الاصل ؟ افضل الاشياء عندالمصائب الصبر ، و انّما اهل الدنيا سفر[1] لا يحلّون الركاب الاّ فى غيرها فمااحسن الشكر عندالمنعم

---

١ — مسافر

و التسليم عند الغير ، فاعتبر بمن رأيت من اهل الجزع فان رأيت الجزع ردّ احداً منهم فما اولاك به . و اعلم انّ اعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، فاتق الله فانّ المرجع قريب . و اعلم انّه انّما ابتلاك — المنعم و اخذ منك المعطى وما ترك اكثر ، فان نسيت الصبر فلا تنس — الشكر و كُلّاً فلا تدع ، واحذر من الغفلة واستلاب النعم وطول الندامة فما اصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غداً ، فاستقبل المصيبة بالحِسْبة تستخلف بها نعماً . فانّما نحن فى الدنيا غرض ينتضّل [1] فيه بالمنا ياونهب للمصائب ، مع كل جرعة شَرَقٌ [2] ومع كل اكلة غَصَصٌ ، [3] لا تنال نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل معمر يوماً من عمره الا بهدم آخر من اجله ، ولا تحدث له زيادة فى اكلة الا بنفاد ما قَبْله من رزقه ، ولا يحيى له اثر الاّ مات له اثر ، و نحن اعوان الحتوف على انفسنا ، وانفسنا تسوقنا الى الفناء فمن اين نرجوا البقاء ؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفاً الاّ اسرعا الكرّة فى هدم ما رفعا و تفريق ما جمعا ، فاطلب الخير من اهله ، و اعلم انّ خيراً من الخير معطيه و شرّاً من الشرّ فاعله .

پايان

---

١ — تَنَضُّل بيرون آوردن ٢ — جستن آب در گلو

٤ — جستن طعام در گلو